يصدرها حلمي مراد

مطبوعات كتابي

الترجمة الكاملة
لأحدث وأروع ما كتبت

فرانسواز ساجان

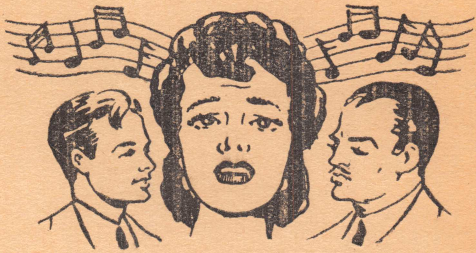
هل تحبين "برامس" ..



فرانسواز ساجان

هل تحبين براهمس ..

النص الكامل للكتاب ، مع ٢٠ صورة
فوتوغرافية نادرة للمؤلفة فى حياتها الخاصة



AIMEZ-VOUS BRAHMS...
par
FRANÇOISE SAGAN

الثمن ١٢ قرشا

مطبوعات

كتابى

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمى مراد

الكتاب الثامن والاربعون

هل تحبين برامس ..

نقلها الى العربية

الدكتور أنور لوقا

مدرس الادب الفرنسى بكلية آداب جامعة عين شمس

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ القاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦

مجموعة كتابى

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها حتى الآن خمسة وثمانو ن كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد ، فى اول كل شهر .

مطبوعات كتابى

(الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منها سبعة واربعون كتابا (ومجلدان كبيران خارج السلسلة يحتويان على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو ») ، وتطلب قائمة بأسماء الكتب جميعا من الادارة .

الاشتراكات

◆ تطلب الاعداد السابقة من كل من المجموعتين من :
ادارة « كتابى » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة

◆ الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابى فى مصر والسودان والمملكة السعودية وسوريا والأردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الأخرى والبلاد الأجنبية فالاشتراك السنوى ١٨٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل .

ولمن شاء أن ترسل له الاعداد بالبريد الجوى المسجل ، ان يدفع فرق الرسوم .

◆ ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات فى مصر باذن بريد عادى . وللمشتركين فى البلاد الاخرى ان يرسلوا القيمة بشيك على أحد بنوك القاهرة ، أو تحويلات مصرفية ، أو كوبونات بريد دولية فئة ٤٠ مليما ، على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر . علما بان سعرها فى مصر ٣٧ مليما . ومن الممكن لمن فى السودان أن يرسل القيمة بحوالة بريدية .

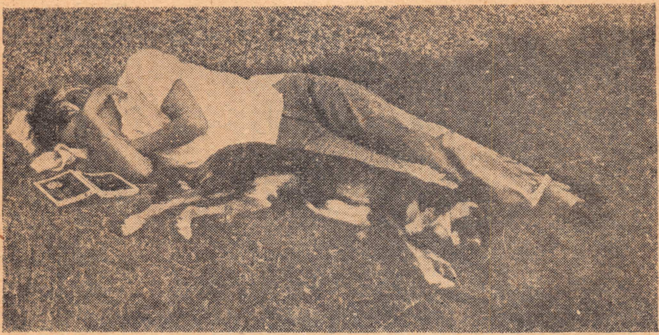
فرانسواز ساجان
.. ما لها وما عليها !

• **كاتبة** فى الرابعة والعشرين من عمرها .. لا تكاد تكتب قصة ـ من ١٨٠ صفحة ـ حتى تهتز دور النشر فى العالم للحدث الكبير .. فيطبع من القصة فى فرنسا وحدها نصف مليون نسخة ! .. وتترجم الى عشرين لغة ! .. ويتنافس عليها خمسة أو ستة من كبار مخرجى السينما !

انها أديبة فرنسا الجديدة « فرانسواز ساجان » .. فمن هى فرانسواز ساجان ؟



على مقعدها الطويل المريح ، استسلمت لافكارها فى شرود !



اغفاءة بعد الظهر ، على حشائش بيتها الريفى ، وبجوارها كلبها الذى يلازمها كظلها . وقد اعتادت نوم القيلولة منذ كانت تعيش فى (سان تروبيز)

وما حقيقة موهبتها الادبية ؟ .. أهى موهبة أصيلة تستحق هذا المجد السريع الذى واتى صاحبتها كالبرق الخاطف ؟ .. أم هى موهبة عابرة لمعت فجأة بمحض المصادفة أو بفضل توفيق غير متأصل ، ولن تلبث أن تخبو وتنطفىء ، بعد أن تستنفد طاقتها المؤقتة ؟

وثمة سؤال آخر يتداوله قراء ساجان فى جميع البلاد :
هل جاءت قصصها ثمرة تجربة « شخصية » واقعية .. أم مجرد خيال أدبى ؟

واذا كانت هذه القصص ثمرة تجارب شخصية ، فكيف أتيحت لها هذه التجارب فى سنها المبكرة ، وهى التى كتبت قصتها الاولى (صباح الخير أيها الحزن) قبل أن تكمل التاسعة عشرة من عمرها ؟



« كوليت الجديدة » تكتب قصصها على الآلة الكاتبة ، وعلى كتفها قطة !.. لقد ورثت عن كوليت القديمة حبها للحيوان .



تداعب كلبها المدلل ـ« يوكى »ـ الذى تأخذه معها فى جميع اسفارها، وقد حصلت عليه من احدى جمعيات الرفق بالحيوان .

ثم .. هل احتفظت « ساجان » فى كتابها الرابع هذا ، بالمستوى الادبى الذى قدمته للعالم فى كتابها الاول ؟ .. وما نسبة الكتاب الجديد ـ من حيث الجودة والفن القصصى ـ بالقياس الى الكتب الثلاثة السابقة ؟

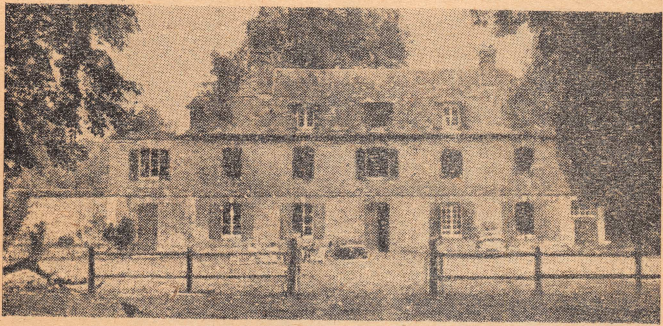
.. الى عشرات من الاسئلة الاخرى التى تحير أذهان قراء كتب ساجان على وجه العموم . وسنحاول فى هذه الصفحات أن نجلو بعض ما أثارته كتب هذه الاديبة الشابة من عواصف القدح والمدح على السواء ..

تضارب .. فى وجهات النظر

• **ولن** نرجع الآن الى ما قاله النقاد فى كتب ساجان الثلاثة الاولى ، وانما حسبنا ما قالوه فى هذا الكتاب الجديد .



فى « برارى » بيتها الريفى بجهة (هونفليز) وضعت فرانسواز « مكتبها » وعليه آلتها الكاتبة ٠٠ والى جوارها حارسها الامين : كلبها !



البيت الذى قضت فيه الصيف الماضى فى (نورماندیا) ، بعد ان هجرت (سان تروبيز) .

وسوف ترى منه مبلغ تناقض الآراء واختلاف وجهات النظر فى مكانة ساجان الادبية !

فبينما يقول أحد أعضاء الاكاديمية الفرنسية ـ ولم تحدد صحيفة « جازيت دى لوزان » التى أوردت هذا القول اسمه مع الاسف : « لقد أدت ساجان فى هذا الكتاب دور جراح القلوب النطاسى ! » .. نرى ناقدا صحفيا يقول عنه : « تستطيع أن تقرأ الكتاب كله فى القطار بين باريس واحدى الضواحى ، وتستطيع أن تلقى به من نافذة القطار اذا كان المنظر من النافذة جميلا ، أو اذا كانت المسافرة الراكبة بجوارك جميلة ! »

ومن ناحية أخرى ، نرى صحيفة (التايمز) اللندنية الرصينة تقول على أثر نشر الترجمة الانجليزية للكتاب فى الاسبوع الماضى : « ان أسلوب مس ساجان فى هذا الكتاب أسلوب بارع متألق بلا نزاع » ..

ويقول الناقد المشهور « دانييل جورج » فى صحيفة (الديلى تلجراف) : « ان « كوليت » ما كان يمكنها أن تعالج موقفا شائعا كموقف بطلة الرواية بمثل اللباقة التى عالجته بها ساجان ! »

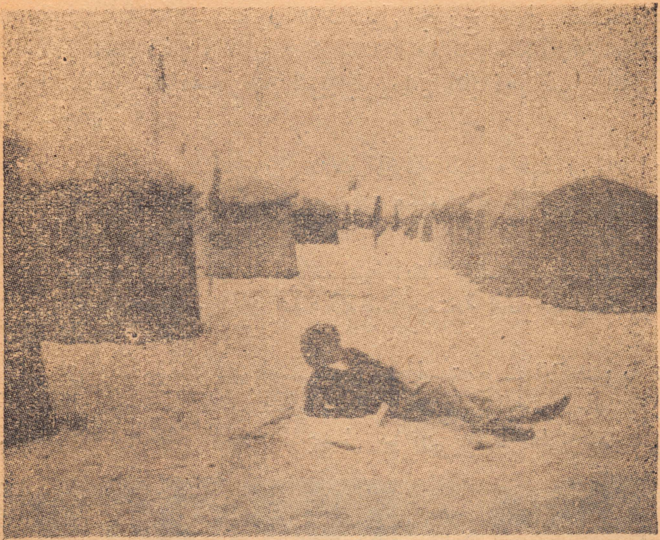
أما صحيفة (سبكتاتور) ذات المكانة الكبيرة فتقول : « ان هذا الكتاب هو خير ما كتبت ساجان منذ كتابها الاول (صباح الخير أيها الحزن) »

وصحيفة (بوكمان) البريطانية أيضا تشترك فى المعركة فتقول بغير تحفظ : « ان هذه القصة ممتعة للغاية ، ومكتوبة بأناقة نادرة . »

بل ان صحيفة (ذى ليسينر) ـ المستمع ـ الانجليزية ، تذهب الى أبعد من ذلك فتقول : « ما أمتع روايات فرانسواز ساجان . ان هذا الذكاء الجميل ما أن يعكف على العمل



اثناء اقامتها فى (تروفيل) كانت تبتاع حاجيات السوق بنفسها ، وتحس بالسعادة حين تعود من السوق دون ان يتعرف عليها احد !



تعبد « ساجان » هدوء بلاجات شمال فرنسا . وترى وهى مستلقية على الرمال بين خيام الشاطىء .

حتى تنعقد بينه وبين القارىء صداقة ، تدور وتدور فى الضوء حتى تصبح شفافة خالصة ! »

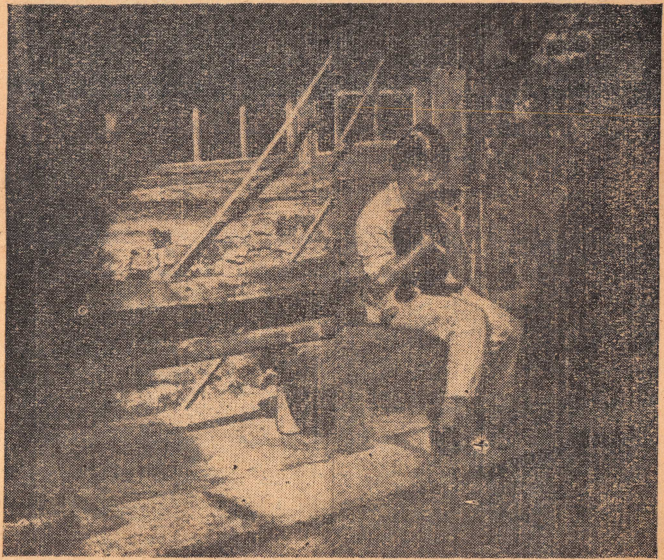
وهكذا ترى أن التحمس للأديبة الفرنسية لم يقتصر على مشايعيها ومواطنيها الفرنسيين وحدهم ، أو على الشباب البارىسى ونقاد الصحف الفرنسية فحسب ، وانما تعدى وطنها الى بلد كانجلترا ، عرفت صحافته بالرصانة والتحفظ الشديدين فى موازينها الادبية ، ورغم ذلك فان كبريات الصحف البريطانية قد تخلت عن وقارها واتزانها فى الحكم

كما رأينا ، وتشيعت للأديبة الفرنسية الشابة بالحماس الذى رأيناه فى تعليقاتها السابقة !

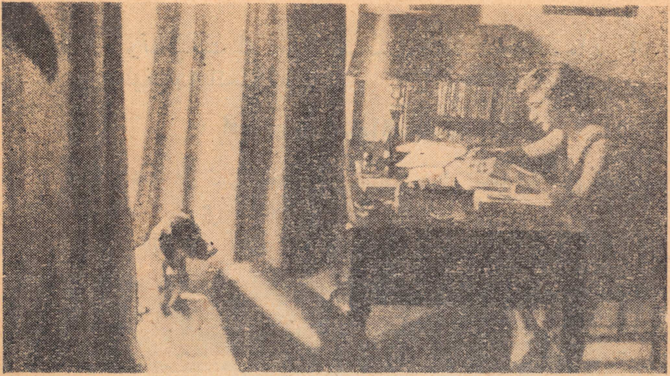
اديبة .. متواضعة !

• **والآن** ، تعال نستطلع رأى فرانسواز ساجان فى نفسها ، وفى انتاجها .. ترى ماذا تقول ؟

انها تنبذ الغرور جانبا ، لتقول فى تواضع كبير : « قبل



انها تعشق الحيوانات . وهى تقتنى فى (هونفلير) - علاوة على كلبها « يوكى » - قطتين : احداهما تسمى «نابليون» ، والاخرى هى هذه التى تحملها بين ذراعيها !



في بيت والديها بباريس ، تحب استعادة الجو الهادىء الذى ألفته ، فى غرفة المكتب التى تحتفظ بها هناك على الدوام .

أن أدرك الشهرة كنت أتطلع الى الشهرة وأسعى اليها ، أما الآن وقد بلغت ذلك ، فالذى يهمنى هو أن أكتب كتبا جيدة . وأعتقد ان ٩٠ فى المائة من نجاحى راجع الى اننى ظهرت فى الوقت المناسب ، و ١٠ فى المائة الى قيمة ماأكتب من الناحية الادبية ! »

ولعل هذا التواضع الجم ، من أسباب نجاحها ومحافظتها على المستوى الذى رفعها اليه كتابها الاول .. فان المجد العريض الذى دان لها وهى بعد صبية دون العشرين ، لم يدر رأسها أو يسلمها للغرور ، وانما ــ على العكس ــ حفزها وضاعف من حماسها للانتاج والاجادة ، فداومت على الكتابة ، وأخرجت الكتاب تلو الكتاب .. حتى بلغت فى كتابها الرابع هذا ذروة ــ فى التحليل النفسى لابطال قصتها ــ لم تبلغها فى أى من كتبها الثلاثة السابقة .. كما سترى .

هل كانت هى بطلة قصصها ؟

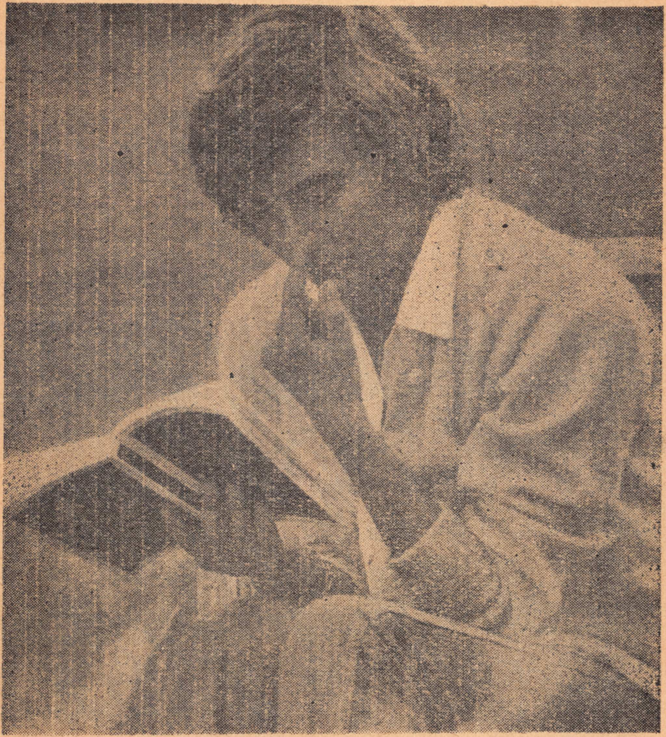
• **واذا** كانت جمهرة القراء قد اتجهت الى الظن أن توفيق « ساجان » فى كتبها السابقة كان مرجعه انها ـ فيما رجحوا ـ قد « عاشت » الحياة التى صورت عليها بطلات تلك القصص، (وقد كانت البطلة فى كل منها شابة فى مثل سنها) ، فلا يمكن أن يصدق هذا القول على كتابها هذا ، وبطلته امرأة فى التاسعة والثلاثين ، قد انحدرت نحو خريف الحياة !

وعلى ذكر الحياة الطليقة التى يتهمون « ساجان » بأنها قد عاشتها بشخصها ، وبأنها تكتب انطباعاتها عنها بحكم التجربة الذاتية ، تدفع هى عن نفسها هذه الفكرة فتقول ، بفلسفتها « الوجودية » الخاصة :



فى بيتها بميناء (هونفلير) ـ حيث اخلدت « ساجان » للراحة خلال الصيف الماضى ـ لم يكن يزورها سوى نفر ضئيل ، خارج نطاق اصدقائها المقربين .

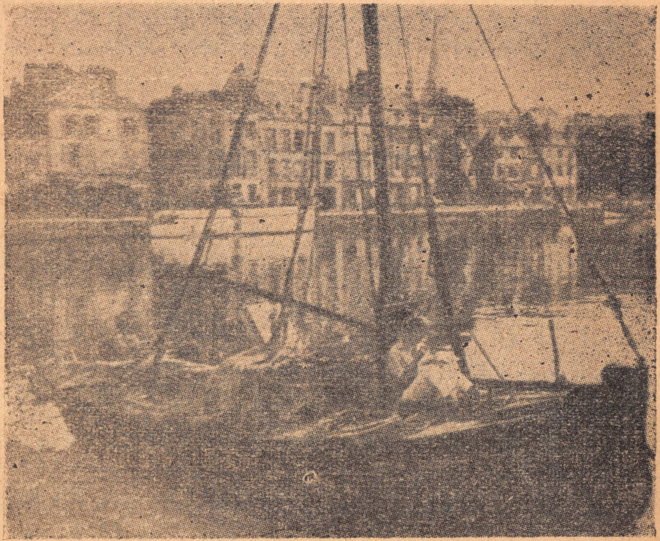
« يتهموننى بأننى لا أحترم شيئا .. ولكننى أومن مثلا بالامانة . والامانة فى نظرى هى أن يحترم المرء رأيه فى قيمة من القيم . والقيمة التى أحاول ما استطعت أن أحترمها



حين تتعب من الكتابة تعكف على مطالعة الروايات البوليسية ..
ثم تتوقف عن قراءتها بمجرد اكتشافها القاتل !

هى « الادب » . ولكننى أسعى أيضا لاحترام حياة الغير ، وأحترم العاطفة الشغوف أيا ما كانت ، فى الحب ، فى الحياة ، فى المهنة ، لان الشغف شكل من أشكال الكرم . وهناك الحرية أيضا ، فان حرصى على أن يحترم الناس حريتى يدفعنى الى احترام حريتهم . »

ثم تقول : « انى أحترم أوضاع المجتمع بالقدر الذى يجعل الحياة على أقل درجة ممكنة من التعقيد . فأنا لا أسكر حتى أرتمى تحت المائدة ، لاننى اذ ذاك سأكون مضطرة الى أن أنهض مرة أخرى ! »



جلسة استرخاء على ظهر سفينة صغيرة فى ميناء (هونفلير) .



حمام شمس على البلاج ، فى « شاليه » الكاتب المسرحى الامريكى « تنيسى ويليمز » بجهة (كى وست) ، أثناء أجازة قضتها «ساجان» فى فلوريدا .

تتبع حبيبها الى الهند !

• على أنهـا لا تنفى عن نفسـها الحب ، والمرح .. اذ تضيف : « كنت فيما قبل (أى قبل زواجها) أقتنى سيارات السباق المسرعة ، وأرقص كل ليلة ، وأعود فى الفجر ، وأقضى حياتى متنقلة بين ربوع « الكوت دازور » ، وحولى دائما زمرة من الاصدقاء . ويبدو لى اليوم أن تلك الحيـاة التى كنت أحياها قد تدفقت على تدفق الشلال : النجاح ، والمال ، والاصدقاء فى وقت واحد . فكنت أعيش وسط هذا التيار وأنا أضحك منه وأتبـع مجراه . ولو قد مر بى فتى هندى وسيم فقال لى : « تعالى عيشى فى الهند » ، وكنت أحبه ، لتبعت هذا الهندى الوسيم الى الهند !

« واذا أمعنت الفكر ، رأيت اننى أواصل نفس أسلوب معيشتى ، من حيث الافعـال ، ولـكن يبـدو لى اننى لن

أستطيع الآن أن أتبع هنديا الى الهند . وشرح هذا عسير . كل ما فى الامر أن حياتى قد اتخذت وجهة أخرى : فقد تزوجت . وقبل الزواج ، كانت قد دهمتنى كارثة السيارة التى تحطمت بى »

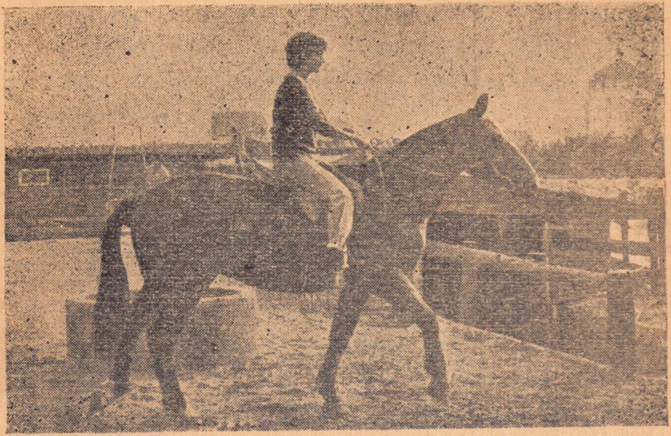
أسطورة المناعة من كل سوء .. تتحطم !

• **والواقع** أن حادث السيارة المذكور كان نقطة تحول خطير فى نفسية ساجان وتفكيرها . فقد كانت ـ حتى وقوع ذلك الحادث ـ تحسب نفسها فى مأمن من الكوارث والمرض ، ومن كل سوء .. واذا بها تصحو فى المستشفى ، بعد غيبوبة دامت يومين ، لتجرى لها جراحة عاجلة ، تبعتها جراحات أخرى عديدة . ولم تسترجع قدرة ساقيها على الحركة الا بعد ثلاثة أشهر . ثم خرجت من المستشفى وهى لا تكاد تتحكم فى أطراف جسمها ، وفى نفسيتها أشباح العاهات المستديمة ! .. ولم تلبث أن دخلت مستشفى (جارش) للأمراض العصبية ، لتستفيق من آثار عقار مسكن كانت قد أسرفت فى تناوله .

وتتحدث « ساجان » عن نزلاء ذلك المستشفى من « المجانين » ، فتقول : « كانت تلك صورة كاريكاتورية للعالم الخارجى ، فقد كان الناس يتخاطبون ولكنهم لا يفهمون بعضهم بعضا . وكانوا يعيشون فى وئام ، وان كان كل منهم منقطعا عن الآخر . وأذكر سيدة كانت لا تفكر الا فى كلبها ـ وكان كلبا خياليا لا وجود له ! ـ وقد جعلنى ذلك أفكر فى أولئك الاشخاص الذين يتحدثون عن موهبتهم ، وهم لا موهبة لهم . »

لوعة الحب ليست هى أقسى الفواجع !

• **وخرجت** من المستشفى للمرة الثانية . وعاودها الالم



فى كل يوم تغادر بيتها الريفى لتقوم بجولة على ظهر جوادها ، بمفردها ، بمحاذاة شاطىء البحر .

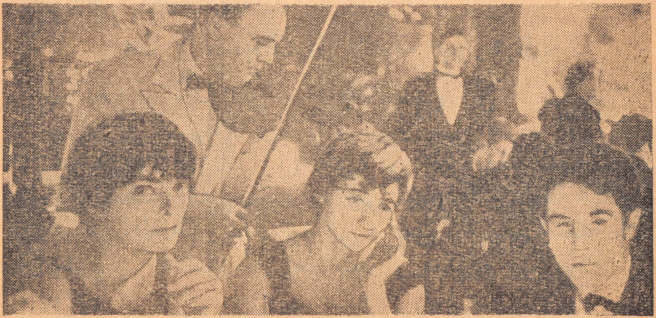
الشديد ، ورغم ذلك منعها الاطباء من تناول المسكنات . وسرى الالم فى أعصابها شديدا حادا ، ثم خفت حدته بعد شهرين من الاستجمام فى جنوب فرنسا ، لدى بعض الاصدقاء . وكانت تلك المنطقة بالذات مسرح حريتها وبهجتها مع رفاقها فى الماضى . أما الآن فلم يكن يستطيع أحد أن يخفف عنها آلامها ، فتناهبتها الوحدة القاسية .

ستة أشهر من المرض المقعد والعزلة عن عالم الحركة ، علمتها أن أقسى الفواجع ليست هى لوعة الحب ، بل المرض والعجز . أول عناصر السعادة اذن هى صحة البدن ، وليس أروع من النعيم الذى يجده المرء فى لحظات التجاوب مع الارض ، على شاطىء البحر ، ومع الضوء والكائنات والاشياء .

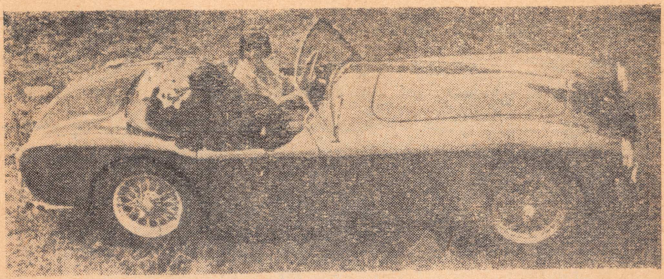
وليس أمتع من أن تكون للمرء حوافز تدفعه ، ومطامح ومشروعات ، يجد فيها القوة المحركة .. ان ساجان تفضل حياة لا تجرى على وتيرة واحدة ، بينما يفضل البعض حياة مستوية تنظمها العادات المتبعة والحنان الهادىء الذى يتقاسمه الرجل والمرأة !

لماذا يحقد الناس على شبابها ؟

• **وتثور** ساجان على من لا يغتفرون لها المجد وهى فى ريعان شبابها . تثور فى ذلك على الفرنسيين « المرتابين » ، وتقارنهم بالامريكيين الذين يحتفلون بنجاح الشباب . وتتساءل لماذا يحقد عليها الحاقدون ؟ هل لان كتبها قد جلبت لها المال الوفير ؟ أليس من حقها هذا الكسب ما دامت هى المؤلفة ؟ ولماذا لا يتولى معارضوها منع صغارهم من مطالعة كتبها ما داموا لا يرضون عنها ؟ ولماذا يتحدث الناس بنهم عن حياتها الخاصة ، وهى التى لا تتدخل فى حياة الناس



تناولت العشاء فى الثالثة صباحا فى مطعم « مكسيم » العالمى بباريس ، مع اثنين من اصدقائها . وكانوا آخر رواد المكان ، وقد اغلق المطبخ ابوابه ، ففتحوا لهم علبة « كافيار » !



رغم اصابتها فى حادث السيارة الذى كاد يقضى على حياتهـا ؛ فانها ما زالت مولعة بقيادة سيارات السباق .. وترى وهى منطلقة بسيارتها « البريستول » الزرقاء فى طريقها الى اخذ حمـــام على بلاج (دوفيل) ..

الخاصة ؟ لكأنهم يريدون أن يروا فيها مصداق الصورة التى أنشأوها لانفسهم عنها !

لماذا لا تكتب الا عن الطبقة البورجوازية ؟

• **ومن** المآخذ التى يأخذها البعض على « ساجان » انها لا تصف فى كتبها الا وسطا محدودا من الطبقة البورجوازية التى ينخرها الفساد ! .. لكنها ترد على هذا بأنها نشأت فى هذا الوسط ، فهى تعرفه ، ولن تكون الا منافقة اذا راحت تكتب عن الفلاحين مثلا . وهى لا تعير أية أهمية لهذا التمييز بين الطبقات ، فالانسان بعواطفه وانفعالاته هو هو فى جميع الاجواء !

وينعى عليها آخرون انها لا تأتى فى كتبها بحل للمشاكل التى تعرضها . ولكن هل تقدم الحياة ـ مع المشاكل ـ حلولا لها ؟ وصحيح أن قصصها تقوم على فكرة وحشة الانسان

ووحدته ، ولكن فيها الحب أيضا . غير أن الحب شيء معقد ، فهو قد لا يثير الا عطفا أو شعورا بالعرفان ، ولا يثير حبا يبادله . والواقع حولنا ملىء بالرجال والنساء الذين يبحث كل منهم عمن يكمله ويتجاوب معه . وقد أصبح الزواج السعيد ، منذ أمد طويل ، شيئا نادرا . انه ممكن — فى رأى ساجان — بنسبة واحد الى ألف ! ولكنه ممكن ، وهى تتمناه للجميع !

وقد سألوها أخيرا فى « التلفزيون » : « اذا كانت لك ابنة ، هل تفضلين أن تكون خبرتها كخبرتك ؟ »

فأجابت : « قطعا لا ! اننى أتمنى لها أن تلقى فى الثامنة عشرة من عمرها رجلا يهيم بحبها وتهيم بحبه ، وأن يستمر هذا الحب طيلة حياتهما ، وان يموتا فى سن الثمانين ويدها فى يده ! »

ولكن الواقع — للأسف — لا يتيح للعواطف مثل هذا الجمال !

تكتب القصة الطويلة فى ٢٧٠ ساعة !

• **وقد** أورد « فيليب بليك » فى كتاب له صدر حديثا ، أنه سأل فرانسواز عن الوقت الذى تستغرقه فى الكتابة ، كل يوم ، فأجابت : « لقد كتبت (صباح الخير أيها الحزن) فى نحو شهرين أو ثلاثة ، كنت خلالها أكتب لمدة ساعتين أو ثلاث كل يوم . » .. أى أن كتابة الكتاب كله لم تستغرق منها أكثر من ٢٧٠ ساعة ، على أقصى تقدير ، (بمعدل ساعة ونصف ساعة لكل صفحة) .. ولكن كل كاتب يعلم أن الساعات التى يجلس فيها ليخط أفكاره بالفعل على الورق ، تحجب وراءها — وقبلها — أضعاف هذا الوقت من التفكير الطويل ، الذى يختمر فى بطء شديد ، فى المخيلة !

نضج فى الطفولة .. وطفولة فى الشباب !

• **بقى** أن نعرف شيئا عن نشأة ساجان ، وأعوام يفاعتها ، وقد روت هى قصة هذه الاعوام للكاتب الفرنسى « جورج بلمون » .. واليك خلاصة قصتها :

كان والدها صاحب مصنع فى منطقة (دوفينيه) ، وكانوا يقطنون مدينة ليون . وانها لتذكر صورة البيت الريفى الذى انتقلوا اليه أثناء الحرب ، وهو بيت ذو حديقة شاسعة ، كانت طفولتها فيه هانئة على وجه العموم . ورغم لطف والديها وتدليلهما فانها كانت تشعر بمرارة الوحدة ، اذ كانت أصغر الابناء — وكان أخوها وأختها يكبرانها بأعوام كثيرة — فقضت طفولتها مع أشخاص ناضجين ، ألقى نضجهم مسحته على هذه الطفولة ، (وقد انعكس الوضع اليوم فطغت مسحة من الطفولة على شبابها الناضج !) .. فهى لا تفهم ولا تقر نظرة الكبار الى كثير من الشئون : فمثلا لا يبدو لها طبيعيا أن يحكم على تصرفاتها شخص سواها ، بينما يبدو للكبار أن تصرفات الانسان ينبغى أن تحكمها أوضاع المجتمع ..

ولم تكن وهى طفلة فى المدرسة سعيدة بصحبة رفيقاتها الصغيرات ، اذ كانت مرهفة الحساسية ، كثيرة التلعثم . وكانت أمها تلبسها القبعات دائما فوق خصلات طويلة من الشعر — كانت التلميذات يعبثن بشدها ! — وتلبسها الجوارب الطويلة حتى الركبة ، (فى حين كانت زميلاتها يلبسن الجوارب القصيرة !) .. وفيما عدا ذلك ، تذكر من طفولتها شيئين بارزين : انها كانت تحصل على أعلى الدرجات فى الامتحانات .. وأن ترتيبها فى الفصل كان الاولى ، طيلة مرحلة الدراسة الابتدائية .

العقدة التى أفقدتها الثقة فى نفسها !

• **وذات** يوم ، وهى فى الثانية عشرة من عمرها — وكانت فى باريس ، بعد أن نزحت أسرتها من ليون عقب الحرب —

دعتها بعض زميلاتها لتلعب معهن ، وأخذن يسخرن منها أكثر الوقت ، فعادت الى بيتها باكية .. وفى اليوم التالى غيرت مسلكها : قصت شعرها ، ولبست جوارب قصيرة ، وبدأت منذ ذلك اليوم تهاجم الآخرين ! وأصبح دأبها فى المدرسة مهاجمة رفيقاتها ، حتى استردت ثقتها بنفسها فأقلعت عن هذه الوسيلة التى اتخذتها للدفاع عن نفسها !

بدأت الشقاوة فى سن ١٢ ، والكتابة فى سن ١٤

♦ فى ذلك الوقت كانت أسعد فى البيت منها فى الخارج . وكانت مولعة بالقراءة ، تلتهم كل ما يقع فى يدها . ولم تكن عائلتها تفرض رقابة على مطالعاتها ، فقرأت الادباء الرومانتيكيين العاطفيين ، ولم تلبث أن شغفت بقراءة « كامى » .

وقد شاع عنها أنها نشأت نشأة طيبة ، وفجأة — فى سن الثامنة عشرة — استبدلت حياتها الرزينة بحياة طليقة . لكن الواقع غير ذلك ، فقد بدأت « الشقاوة » بين الثانية عشرة والثالثة عشرة . وحدث أن طردتها احدى المدارس الثانوية ، فراحت تتسكع فى الشوارع ، وتنفق الساعات الطوال فى المشى أو القراءة ، أو فى استطلاع الاشياء واستعراض الناس. وفى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة بدأت تكتب ما يعن لها من قصص قصيرة أو أبيات من الشعر العاطفى الفلسفى . (وكان انتاجا سريعا غثا ، أعدمته فيما بعد !)

وفى تلك السن أحبت الموسيقى — الكلاسيكية و« الجاز » على السواء — ثم بدأت ترتاد كهوف الوجوديين فى حيهم المعروف (سان جرمان دى بريه) ، بين الساعة الخامسة والسابعة من أيام العطلات ، ولا سيما الخميس والسبت والاحد ، حيث كانت ترقص مع الشباب اللاهى .. ثم تسرع بالعودة الى البيت لاهثة فتبلغه فى الثامنة ، كى تتجنب تأنيب والديها لها !

وفى هذا القدر من الحديث عن « ساجان » الكفاية .. فتعال نقرأ الآن مقدمة المترجم .. تليها الترجمة الكاملة للكتاب .

مقدمـــة المترجم

هذا الكتاب ..

بين الـكاتبة وقصـــتها

• **هذه** قصة أمرأة تفارق الشباب ، كتبتها امرأة فى ريعان الشباب . قصة امرأة قضت عليها أوضاع المجتمع الحديث بالوحدة الموحشة ، كتبتها امرأة اقبل عليها الجيل الجديد ، ووهبها المجد ، والثروة الطائلة ، فى مثل لمح البصر !

ونحن لا ننعى على الاديب عمله اذا صـــور لنا ــ بفطنته الملهمة واحساسه المرهف ــ شيئا غير حياته وسيرته ، ففى ذلك الزامه بما لا يلزم . ولسنا نزعم من ناحية أخرى أن كاتبة هذه القصة ــ وهى بعد فى الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين من عمرها ــ لم تلمس من خلال خبرتها الشخصية أو من خلال الجو المضطرب الذى تعاصره ، مأساة هذه المرأة المتحررة . ومهما يكن من أمر الصلة الواقعية بين سيرة الاديبة « فرانسواز ساجان » وسيرة بطلة القصة « بول » ، فنحن نؤمن ــ مع « فاليرى » ــ بأن فهم الاثر الفنى لا يقتضى الالمام بسلوك مبدعه ، ولا يتوقف على استقصاء حركات الفنـــان وسكناته ، وعلى تحرى ملابسات حياة خاصة قد تشبه حياة الملايين من الناس ، لان للأثر الفنى كيانا مستقلا ، متكامل الاجزاء والعناصر ، يغنينا بمحضره عن القيل والقال .

حسبنا اذن أن ننظر فى هذه القصة الجديدة كما طلعت علينا فصولها ، لنجتلى معانيها وأوجه الفن فيها ، ولنعرف حق قدرها بمقاييس العقل والقلب ، وهى التى تحدد لنـــا مكانها فى دنيا الادب، دون أن نحتفل بما يرويه عن الكاتبة هواة الطرائف من المتندرين، ودون أن نصغى الى الضجة التى أثارها حول اسم « فرانسواز ساجان» دعاة المجون وتجار السينما .

« هل تحبين برامس .. »

• **ولعل** أول ما يجب علينا أن نفهمه هو عنوان القصة . ان كتابا بهذا العنوان ـ وترجمته الحرفية قد تكون : « هل تحبون برامس ؟ » ـ ليوحى منذ أول وهلة لطالب القراءة بأنه واحد من تلك الكتب التى انتظم صدورها أخيرا للتعريف بكبار الموسيقيين، ونشر الثقافة الفنية بين الجمهور، وتبسيط العلم لغير من تخصص فيه . ولكن الكتاب لا يرمى قط الى تعريفنا بحياة هذا الموسيقى الالمانى العظيم ، الذى ولد عام ١٨٣٣ فى مدينة « هامبورج » وتوفى عام ١٨٩٧ ، أو الى شرح ألحانه الشهيرة وتحليلها ، لاظهارنا على عبقريته وعلى منهجه فى التأليف . وانما الكتاب قصة تجرى حوادثها فى أيامنا هذه ، فى باريس ، ويعرض لبطلتها المنزوية فى ركن ضيق من الحياة أن تقبل الدعوة ذات مساء الى حفلة موسيقية يعزف فيها « كونسرتو » رائع من موسيقى « برامس » ، فيصبح « برامس » بالنسبة اليها رمزا لا للموسيقى وحدها بل لصميم الحياة الناضرة العامرة التى تفتقدها ، حياة النفس المتفتحة ، شباب الروح التى لا ينبغى أن تشيب ..

وهنا خطر نود أن ننبه اليه . فقد يبدو العنوان بهذا المعنى سؤالا موجها الى القراء . وانها لدعوة جميلة حقا ، تحثهم على الاستمتاع بالموسيقى المنعشة ، وايثار السعادة التى ترتوى من المناهل الصافية ، وتجنب الميول الكدرة التى تؤدى الى الالم العقيم ... الا أنها دعوة تخرج القصة من نطاق العمل الفنى الى نطاق الوعظ والارشاد والدرس الاخلاقى !

وذلك ما حرصت المؤلفة على التبرؤ منه ، وما نود لقارىء هذه الترجمة الا يتورط فيه . كلا ، لم تكتب « فرانسواز ساجان » هذه القصة دفاعا عن الاخلاق الفاضلة ، ولم تتكلف

فيها أمرا بالمعروف أو نهيا عن المنكر ، وانما قصدت الى تصوير النفس الانسانية كما رصدتها ـ فى اطار فن من فنون الادب ـ عين بصيرة بقلوب النساء !

ولا شك فى أن هذا هو الذى حدا بالكاتبة الى العدول عن علامة الاستفهام فى ختام عبارة العنوان . فمن البديهى أن كل سؤال بـ « هل » يستدعى جوابا بـ « نعم » أو « لا » . ومن حق القصاصة الا توجه لقارئها أى سؤال . انها لا ترى فى هذا الذى يبدو لنا سؤالا سوى حقبة هى أدل حقب القصة على معناها من أى عنوان آخر . ولقد استغنت بالفعل عن تلك الصيغة الاستفهامية القاطعة التى سجلتها المطبعة بالعلامة المعهودة على الغلاف الخارجى ، واستبدلتها ـ منذ صفحة الغلاف الداخلى ـ بنقطتين توحيان للقارىء بشىء أبعد مما تحويه كلمات سؤال عادى ، شىء ناقص يدعونا الى أن نتمه ، شىء مجهول يحفزنا الى مطالعة الكتاب على كل حال ..

« هل تحبين برامس .. » انه سؤال يلقيه على بطلة القصة صاحبها الفتى ، وليس سؤالا توجهه كاتبة القصة الى قارئها المجهول .

حلقة مفرغة

• **وما أعمق** المعانى التى تنطوى عليها تلك النقط الخالية ! .. ذلك اغفال مقصود ، يفتح للمفكر بابا على كل أفق .. ولقد عودتنا « فرانسواز ساجان » على هذا الجو الفاتر ، الذى قد يلتقى فيه البرد والحر ، ولكن لا تنحسم فيه الامور ، ولا تنتصر قوة الارادة أو شدة العزيمة ، ولا يقر لامرىء تحت وطأته قرار . وهيهات لقلب حائر أن ينعم بما يجد ! انه جو مشبع بجراثيم التشكك والتردد .. انه هذا البحر القلق فى منتصف القرن العشرين ، يطفو الناس على سطحه ، فيعييهم تلاطمه ، وقد يستمرئون ماءه الاجاج ، بين شاطىء الخير

الحسير ورمال الشر الواهية ! .. وفى عناوين قصص « ساجان » السابقة ـ « مرحبا أيها الحزن »، و « ابتسامة ما » و « بعد شهر أو بعد سنة » ـ ما يعكس لنا هذا اللون الحائل ، لون الحياة المضطربة الحدود ، وهو أبعد الالوان عن الوضوح الناصع المريح .

ولعل هذه الاديبة المحدثة ، التى تتجنب الثرثرة والاطناب، قد أرادت بتلك النقط الخالية فى ختام العنوان أن ترسم لنا الحلقة المفرغة التى يدور فيها أبطال القصة :

فهذه « بول » الرقيقة ، فى التاسعة والثلاثين من عمرها ، قد أصبحت أسيرة حريتها ، بعد أن طلقت فى نزق شبابها زوجا ثريا فتيا من أرقى اهل المجتمع .. ومضت تبحث عن ينابيع السعادة الشخصية التى ظنت أن أغلال الزواج تعوقها عن ورودها ، فماذا نالت ؟ نالت نشوة عابرة ، لم تكفها ، فاستعادتها مع أكثر من عاشق ، ثم زهدت فى ذلك ، ولم تستغرقها الا علاقة ربطتها برجل يناهز الاربعين ، هو « روجيه » ، علاقة دامت الآن ست سنين ، أخلصت له فيها الحب ، دون أن تفلح فى الاستئثار به ! ..

و « روجيه » هذا رجل قوى البنية ، أنانى ، يحتاج الى وفاء « بول » وحنانها ، فيفزع الى أحضانها كلما نغص عليه منغص . ولكنه سرعان ما يسلو ، فيدعها وحدها ، ويخرج ليجول ويصول فى ليالى باريس ، واذا واتته المغامرة انصرف الى هوى ماجن رخيص ، وألغى مواعيده مع « بول » ، متذرعا حيالها بكثرة أعماله وضيق وقته ! غير أنه لا يجد فى متع المجون ما يروى غليله ، فيثور به السخط على حياته المختلة المشتتة ، ويشتد شوقه الى « بول » ، لا سيما وقد اقبل عليها فتى وسيم هام بها ، وغدا يلازمها ، وربما سلبه اياها .

وهذا الفتى – «سيمون» – لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره . طلعت عليه « بول » بوجهها الرقيق العانى ذات صباح ، فعرف الحب الغامر .. تلك العاطفة الدافقة التى تملأ القلب والفكر وتملك على المتيم أمره .. وهو الذى لم يعرف قبل ذلك سوى افتتان المعجبات بحسنه ، وعبثه بهذه أو تلك عبث الشباب السادر ، وتهربه من كل جد ومسئولية . وحب « سيمون » لا يتعثر فى التقاليد ، فهو لا يلتفت لفارق السن بينه وبين « بول » ، وانما يسعد بالتجاوب النادر بين نفس ونفس ، ويريد أن يتزوج هذه المرأة لينتزعها من جهاد الرزق الذى تتجشمه فى مجتمع خبيث ، وليستكمل أركان سعادته الناقصة الطامحة المتلهفة .

ترى هل تفرح « بول » بهذا الحل الذى يخرجها من حياتها العرجاء الى حياة مجزية موفورة ؟ وهل تنتهز « فرانسواز ساجان » هذا الموقف السانح لتختم قصتها خاتمة طيبة ، فيها تكافىء « بول » التى تعذبت ، وتثيب « سيمون » الذى يصبو الى المثل العليا ، وتعاقب « روجيه » الغليظ على استجابته للشهوة وتخاذله عن الوفاء ؟ اننا نتتبع الصراع الذى ينشب فى قلب « بول » المستقلة ، حتى نراها ، تحت أحمال الماضى الزاخر بالشجون ، ترزح الى جانب ذلك الرجل .. الذى تعلم أنها لن تجده الى جانبها ..

« كوليت » قبل « فرانسواز ساجان »

• **والقارىء** المطلع على كتب الادب الفرنسى المعاصر لاينسى اسم أديبة سبقت « فرانسواز ساجان » فى عالم القصة ، واسترعت جميع الانظار فى أوائل هذا القرن حينما ظهرت على مسارح دور اللهو ، ثم حينما توفرت على كتابة سلسلة من القصص العاطفية بقلم جذاب جرىء سجل اعترافات المرأة وأسرارها .. وتلك هى « كوليت » التى توفيت فى

صيف ١٩٥٤ عن احدى وثمانين سنة .

وقصة « هل تحبين برامس .. » - على قصرها وما تحمل من خصائص مميزة - تشبه فى جملتها وفى كثير من تفاصيلها قصة « الشريدة » التى روت فيها « كوليت » طرفا من تجاربها . فبطلة القصتين امرأة نصف ، تزوجت فى شبابها ، ثم طلقت ، ونزلت الى دنيا الاعمال لتكسب عيشها ، وهناك لقيها من بين الناس انسان صادق الحب ، كبير القلب ، ينشد الهناء فى الاقتران بها ، ويريد أن يمنحها يومه وغده ، وأن يكفل لها حياة آمنة مطمئنة ، فتميل فينة اليه ، ولكنها لا تلبث حتى تفر من وده ، اذ تلح عليها الذكريات الموجعة التى تشدها الى أمسها ، ويقعدها همود العزم وفتور الهرم عن مجابهة حياة جديدة مشرقة .

مع « الشريدة »

• **هذه** « رينيه » تتشرد فى المجتمع بعد أن انفصلت عن زوجها الرسام المبدع « أدولف تاياندى » . لقد أحبته صبية وأنفقت في كنفه أعواما ثمانية ، لم يرعو خلالها عن مجونه وكذبه . طلقته اذن واشتغلت بالتمثيل ، مما جعل القوم ينظرون اليها شزرا ، وان باتت هى جادة فى عملها ، تستمسك بالفضيلة ، وتتحفظ ، لانها تخشى تباريح اللذة . ان «كوليت» تكتب على لسان « رينيه » هذه السطور التى لا يمكن ان تخطها سوى امرأة :

« الوحدة .. الحرية .. عملى الطريف المرهق بما يشمل من حركات الممثلة والراقصة .. عضلاتى الهانئة الكليلة ، والهم الجديد الذى يصرفنى عن الهم القديم ، ويدفعنى الى أن أكسب بنفسي قوتى ، وثوبى ، وايجار مسكنى ، ذلك ما أصبح على الفور نصيبى ، كما أصبح نصيبى ايضا هذا الحذر النافر ، هذا الاشمئزاز من البيئة التى عشت فيها

وتألمت ، وخوف غاشم من جنس الرجال ، من الرجال والنساء كذلك .. بل وهذا الشذوذ الذى سرعان ما تملكنى، ألا وهو شعورى بأننى لست آمن شر أمثالى من الناس الا حينما تعزلنى عنهم خشبة المسرح ، ويحفظنى من أذاهم جميعا هذا الحاجز النارى » ..

انها تجلس أمام مرآتها ، وتلاحظ ما افسد الدهر من جمالها ، ثم تنطوى على حسراتها ، وتنقل الينا « كوليت » ما يسرى فى ضميرها :

« ان النهوض بتكاليف الحياة شيء يستطيع المرء أن يتولاه بمفرده ، وأن يعتاده .. ولكن السآمة وأنا وحيدة محمومة، أسعل فى الليل الذى لا ينقضى ، وأبلغ على ساقين منهارتين تلك النافذة التى يطرق المطر زجاجها ثم أعود الى فراش معروك لين ، وحدى .. وحدى ، وحدى ..

« .. الحواس ؟ أجل ، ان لى حواسا .. حيية ، ديدنها الجرى على وتيرة واحدة ، تسعد بالمداعبة العادية التى كانت تغمرها بالنعيم ، وترهب كل تفنن أو تعقيد ماجن ..

« انى لا أطمع فى شيء ، ولا آسف على شيء .. حتى يحين لثقتى أن تغرق مرة أخرى .. حتى تحل الازمة المحتومة التى اتطلع فيها برعب الى الحزن يدنو بيديه الشديدتين الرفيقتين، فيحدو ويؤنس جميع لذائذى . »

وما أدق هذا الوصف لوجدانها عندما سعى اليها من صفوف الجمهور رجل أعجب بها ، فأرسل اليها طاقات من الزهر ، وراح يعبر لها عن حبه دون أن تحفل به فى أول الامر ، بيد أنها لا تلبث حتى تضرب له موعدا ، وهى تقول لنفسها :

« لقد أذعنت ـ انى أعترف بذلك ـ اذ سمحت لهذا الرجل بأن يعود غدا ، أذعنت للرغبة التى تحملنى على أن

أحتفظ فيه لا بعاشق ، ولا بصديق ، وانما بمتفرج يشهد في نهم حياتي وشخصي .. ان الحرية ليست باهرة حقا الا في بداية الحب ، الحب الاول ، يوم نقول ونحن ننزل عنها لمن نحبه : « خذ ! اني أود لو أعطيتك أكثر » .. لقد فات أوان الفرار ، وقد لقيت مرة اخرى ايضا مرشدتي التي لا ترحم ، تلك التي تخاطبني من صفحة المرآة .. »

وسوف نجد في مواقف « بول » من « سيمون » — في « هل تحبين برامس .. » — أصداء لمثل هذه العبارات التي وردت في « الشريدة » :

« لم أعد من الصبا ولا من الحماسة ولا من الجود بحيث أبدأ الزواج من جديد ، وأقدم على الحياة التي تشمل اثنين .. دعيني أنتظر ، متزينة ، متفرغة ، وحيدة في غرفتي المغلقة ، اقبال ذلك الذي اختارني له « حريما » . اني أريد الا أعرف منه سوى حنانه وجذوته ، اني لا أريد من الحب — أخيرا — سوى الحب ..

« لو شاء لعقدت له رباط عنقه ، وأعددت قائمة الطعام للعشاء .. وأحضرت له نعليه .. وانه ليستطيع أن يسألني في لهجة السيد الآمر : « الى أين تذهبين ؟ » . لقد كنت أنثى ، وها أنذى أجدنفسي انثى ، لاتعذب ولاستمتع بذلك .. »

جملة القول ان « رينيه » امرأة هجرت حياتها الطبيعية ، وخرجت عن طورها في المجتمع ، ثم هبت عليها نفحة من أمل ، فتاقت الى استعادة أنوثتها ، غير أنها لا تجرؤ على استقبال الحب الجديد ، لانها تفطن الى أن شبابها قد ولى ، وأن زهرتها قد ذوت في الخبرة السابقة ، وان ماضيها المشحون بدواعي الاسى أشد سيطرة عليها من كل حافز . وتلك هي نفسية « بول » الواهنة كما حللتها « فرانسواز ساجان » .. ولكننا قبل أن نقرأ الفصول الاخيرة من « هل تحبين

برامس .. » ، وقبل أن نشهد ذلك الفراق الاليم الذى تنتهى به القصة ، يحسن بنا أن نسمع هنا لحديث «الشريدة» وهى تقول فى المعنى ذاته :

« أولا يوجد سوى اللذة ؟.. ان اللذة تشغل — فى صحراء الحب التى لا حد لها — مكانا مشتعلا صغيرا جدا ، بيد أنه من التوقد بحيث يصرفنا عن أن نرى فى أول الامر شيئا عداه . وأما انا فلست فتاة جديدة كل الجدة ليعمينى وهجه . فحول تلك البؤرة المضطربة ، يربض المجهول ، والخطر .. ماذا أعرف من الرجل الذى أحبه والذى يريدنى ؟ عندما ننهض بعد ضمة قصيرة ، بل وبعد ليلة طويلة ، ينبغى أن يعيش الواحد منا بجوار الآخر : بل أن يعيش الواحد بالآخر . واذ ذاك سيخفى هو بشجاعة أولى خيبات أمله التى تأتيه منى ، وسأكتم أنا خيبات أملى ، عن كبرياء ، وعن حياء ، وعن شفقة ، لاسيما لاننى كنت أتوقعها ، وأخشاها ، فقد سبق لى أن عرفتها .. أنا التى اهتز امام بعض حركاته ، واطرب لسماعى نغمات بعينها تنبعث من جديد ، أى جيش من الاطياف يتربص لى وراء ستائر مخدعى الذى ما زال مغلقا ؟ ... افهمنى ! انه ليس الشك ، يا حبى ، هو الذى يهدمنى .. ولا هى خيانتك المقبلة .. وانما هو انحدارى .. اننى لست امرأة شابة .. افهمنى ! »

مأساة المرأة العصرية

• **ولسنا** نرمى بهذه المقارنة السريعة بين قصتى «كوليت» و « فرانسواز ساجان » الى اثبات « السرقات الادبية » على نهج النقاد القدماء ، فذلك ضرب من الاحصاء العقيم ، يطيح بسلبيته ما لكل عمل فنى من وجود خاص أصيل . وانما نود

أن نسجل التشابه في الموضوع الذى طرقته فى القرن العشرين أديبتان تكشفان عن قلب المرأة .

والحق انه موضوع « نسائى » حديث جدا ، يتصل اتصالا مباشرا بالعصر الذى انتهينا اليه . فما هكذا كان يعالج الكتاب فى القرن الثامن عشر ، وفى القرن التاسع عشر، قصة المرأة التى تفشل فى حياتها العاطفية . أجل ، لقد كانت للمرأة مآسيها فى كل زمان ومكان ، ولكن ادباء ما قبل القرن العشرين كانوا يجدون المخرج للمرأة المنكوبة فى أن تعيش بعد نكبتها مع بعض أهلها كأمها او خالتها ، وكانوا يدخلونها فى أسوأ الحالات الى دير من الاديرة تطوى فى سكونه وخشوعه ما بقى لها من آلام الدنيا . ومهما يكن من أمر تلك الحلول المعروفة ، فانها تعرض علينا لونا من التضامن الاجتماعى والروحى ، كان يخفف عن المرأة شقوتها ، ويعينها فى بلائها ، وهو هذا التضامن الذى اختفت معالمه من قصتى «الشريدة» و « هل تحبين برامس .. » .

لقد تلاشى ذلك الحدب ، وانتهى عهد الرأفة والنجدة ، وأصبحت المرأة وحيدة ، لا أهل لها ولا ملاذ ، تستغنى عن الرجل فتنزل ميادين الاعمال، حيث تكافح وتصارع وتتعرض للهوان ، مما ينافى طبيعتها .. حتى اذا غاض شبابها وأعياها الكد ، راحت تجتر لوعتها ، ولم يسعفها قلبها الجريح الذى باتت تثخنه ذكريات ماضيها ، فهو لا يسعه الا أن يقطع كل صلة بينها وبين الناس ..

ان المرأة كالزهرة تتفتح مرة واحدة ، وتذوى مرة واحدة . فما أقسى هذه الوحشة المريرة التى ادخرتها حضارة اليوم مصيرا لكثير من النساء !

صيحات ايجابية ..

• **صورة** رهيبة اذن تقدمها لنا « فرانسواز ساجان » ،

صورة الجدب يستولى شيئا فشيئا على أرض طيبة ! ولكن أبلغ فلاسفة التشاؤم لا يستطيع أن يمنع صورة الجدب هذه من أن توحى لمتأملها بصورة الخصب والرى والنضرة .. فالاضداد تتداعى فى خاطر الانسان . ونحن نتمثل تلك الصورة الخضراء ، النائية ، الشائقة ، من خلال عنوان القصة البديع : « هل تحبين برامس .. » . أجل ، اننا لا نزعم أن هذه الاديبة الناشئة من الفلاسفة أو من علماء الاجتماع ، ولا نحن نحشرها فى زمرة كتاب الرواية ذات « الهدف » أو « الرسالة » ، بيد أن التأثر الذى تخلفه لنا قصتها لا ينى يردد فى صدورنا وحيا ايجابيا سليما : « رفقا بالقوارير » !

وقد يعتبر الكتاب كله بحثا عن الحب ، وتعريفا لمضمونه فى محيط الجيل المعاصر . فقد هوت الانسانية الى عالم متهافت ، يؤمن بالمادة ، وينتهز الفرصة ، ويؤله ارادة البشر ومنافعهم ، ويخلط بين اللذة والسعادة . وهكذا ضل الناس عن الحب ـ بمفهومه الكامل ـ أى ذلك التجاوب الذى يضفى على الكون معناه العميق ، تلك العاطفة التى تهب الحياة لمن يبذل نفسه من أجل شخص آخر ، هذا النعيم الجوهرى الضرورى الذى ينشده « سيمون » ، وتقصيه عن «روجيه» أنانيته وشهواته ، وتفنى « بول » فى انتظاره . ان المرء ليخبط فى قفر جاف مميت اذا أخطأ ذلك المنهل النقى . **واهمالك الحب وتذرعك بالتوافه** ـ كما يقول سيمون لبول ـ **جريمة تقتضى الحكم بالاعدام ، وتستتبع أشد عقاب ، الا وهو .. الوحدة !** وما أروع صيحة هذا الفتى اذ يضيف :

ـ وليس يروعنى شىء أكثر مما يروعنى هذا الحكم . على أن جميع الناس يشعرون مثلى بهذا الخوف ، ولكن لا يجرؤ واحد منهم على ان يبوح بذلك الشعور . أما أنا فتمتلكنى الرغبة فى أن أصرخ أحيانا . انى خائف ، انى خائف ، أحبونى!

ولو لم تشتمل قصة « ساجان » الاخيرة على غير هذه الحكمة ، لكانت خليقة بأن نقرأها وأن نتأملها !

.. وفن قصصى

• **على أن** قارىء هذه القصة سوف يجد ـ فوق ذلك ـ تصرفا فنيا فى صياغتها لا سبيل الى انكاره ، وحسبنا أن نشير هنا الى لمحات منه :

وأول ما يخلبنا من صفات هذه الرواية ايجازها . والايجاز فن عريق ، يحظى اليوم باقبال الجماهير . وليس أنسب منه أسلوبا لقصة تتركز حول امرأة واحدة بين رجلين ، ولا تستغرق وقائعها الا بضعة أشهر ، ولا تكاد تنتقل مشاهدها بعيدا عن مدينة معينة هى باريس . انها مجموعة قصيرة من اللقطات الموفقة فى جملتها ، تدل سرعتها على رشاقة ، ودراية ، وقريحة مواتية .

والقصة لا تجرى فى اطار خارجى ، بقدر ما تجرى فى داخل النفوس • فلا قيمة للاحداث ـ على قلتها ـ من حيث هى أحداث ، وانما هى مجرد ظروف هينة ، مألوفة ، تتيح للابطال مواقف خاصة ، تسفر فى ضوئها عواطفهم وتتطور . وهذا الزهد فى الملابسات والمفاجآت ، هذا الاضراب عن التعقيد ، وهذا الحرص على صميم الموضوع وصبه فى بؤرة محددة ، من مبادىء الفن « الكلاسيكى » الذى تسبغ بساطته على العمل رصانة وعمقا . ولا حاجة بمن يروى المأساة الى تخيل النوازل الطاحنة ، وحشد الكوارث الخارقة ، وتكديس النكبات العجيبة ، لكى يؤثر فى القراء . فقد تكون أبلغ أحداث القصة عبارة صغيرة يفوه بها أحد أشخاصها على غير عمد ، كهذا السؤال الضئيل الذى اصبح عنوانا للكتاب ، بل ورمزا لحياة بأسرها : « هل تحبين برامس .. »

وفى القصة النفسية ، لا شك أن أقوى تعبير هو التعبير المباشر ، أى سياق تلك الخواطر التى تسرى فى وجدان الشخص ، سواء أجهر بها أم كتمها ، **فان حديث كل امرىء مع نفسه لا يقل أهمية عن حديثه مع سواه . والرواية التى بين أيدينا منسوجة من هذه الخواطر المتصلة ، نسمع فيها نجوى الضمائر ، وهمس الرغائب ، وخفق القلوب** . اننا لا نرى العالم الخارجى الا من خلال انطباعات الابطال . وليس وصف الاطار فيها وصفا موضوعيا ، وانما هو وصف شخصى ، يتلاءم مع الحالة الشعورية التى يجتازها هذا أو ذاك . فالكاتبة تعنى فوق كل شىء بانفعالات الانسان ، وتقف عند العقبات التى تعترض تصرفه . ولذلك تظهرنا عليه وهو يتساءل فى كل لحظة : ماذا عساه أن يفعل ..

غير أن حرص الكاتبة على رصد هذه الافكار المتلاحقة التى تجول فى باطن أبطالها ، كان وبالا عليها أحيانا . فهى تنقل الينا نقلا أمينا نص ما يتردد فى نفوسهم ، سواء لديها أن يكون ذلك فى جمل مفيدة أو فى جمل مبتورة ، سواء لديها الصورة الواضحة أو الصورة المبهمة . وهى ــ توخيا للامانة أيضا ــ لا تتورع عن تسجيل ما قد يطرأ على أذهان الاشخاص أو ألسنتهم من ألفاظ صريحة ، عامية أو مبتذلة . وفضلا عن تلك الشوائب الممجوجة ، قد ينتهى هذا الاسلوب « الشفهى » ، المتفكك ، الى أن يضعف من احكام الصياغة فى نظر القارىء . وكثيرا ما يضيق به المترجم الى العربية ، لا سيما اذا اقتصر على استخدام الفصحى ، وهى لغة جليلة ، لغة كتابة ، لم نتعود فى أحاديثنا ــ مع أنفسنا أو مع الناس ــ أن نستخدمها الا ممزوجة باللغة الدارجة ذات الجرس الاليف .

ومهما يكن من مأخذ ، فان أشخاص هذه القصة اذا تخاطبوا ، تكلم كل منهم لغته الطبيعية التى تنم عنه وتكشف

لنا دخيلته . ف « روجيه » رجل ضيق الافق . وصاحبته الماجنة « ميزى » فتاة جاهلة ، صغيرة الاحلام ، بذيئة . وتشبهها مدام « فان دن بيش » - أم « سيمون » - رغم ثرائها وتأنقها ، فهى سيدة تغلب عليها خلاعة ماضيها ، ولا تعرف مثل هذا الحياء الذى يسيطر على « بول » ويشقيها . وأما « سيمون » ، فهو مثال الصبا والحياة ، ولا يخلو حديثه من نفحات شعرية .

ذلك أن الشعر - على غير ما نتوقع - يحتل جانبا كبيرا من هذه القصة الواقعية القاتمة . وقد اجتلينا ، فيما سبق ، طرافة العنوان ووحيه الساحر . والفصول الاولى تفيض بشعر الخريف وشجونه . ما أبدع تلك الصفحة التى تروى نزهة « بول » مع « سيمون » بين أشجار غابة « بولونى » فى بداية تعارفهما ! فليس يخفى ما بين هذه الطبيعة الوانية وبين نفسية البطلة من توافق . ان الخريف بشمسه الشاحبة ، وباصفرار أشجاره وتساقط أوراقها ، هو الصورة الخارجية المعبرة عن حال هذه المرأة التى تودع شبابها وتنأى عن الحياة . وهنا « رمزية » قد انتهجتها الكاتبة وطبقتها تطبيقا مباشرا : فهذه الاوراق الصفراء التى بللها المطر ووطئتها أقدامهما فالتصق بعضها ببعض ، انما ترمز اليهما ، وقد تأبط ذلك الفتى المجهول ذراع هذه المرأة الكليلة التى أنست اليه ، بل وترمز الى جميع رفاق العمر الذين اتصلوا ببول ، وها هى ذى تستعرض فى ذاكرتها وجه زوجها « مارك » ، ووجه شخص آخر كان قد أحبها ، ثم وجه « روجيه » ..

ولعل أوضح مثل لهذه « الرمزية » السهلة هو المشهد الذى يفتتح الفصل الرابع ، حيث نرى « بول » ، وهى تنسق واجهة محل الازياء ، جاثية على ركبتيها أمام تمثال نصفى من الجص ، فنحس بما ترسف فيه من ذل . انها تمد ذراعيها

وكأنها تبتهل لذلك الصنم المادى الذى اضطرها الى عبادته مجتمع جائر ، يمر رجاله بالواجهة ويستمتعون ببؤس المرأة وبحسنها المعروض ..

واذا ضاق بنا المقام عن ايراد أمثلة أخرى من شعر الرموز – لاشك ان القارىء سوف يفطن اليها فى مواضعها – فاننا نذكر هنا مكان الموسيقى فى القصة . وانه لمكان ممتاز ، يشمل أروع معانى الحياة . فقد يتاح التجاوب الروحى بين نفوس الناس من خلال نغمات يستمعون اليها ، وقد يبلغ هذا التجاوب درجات عليا من الاتحاد يعرفها الصوفية ، كما عرفها « سيمون » وهو يصغى الى « كونسرتو » برامس بجوار « بول » .

وجميل أن تتردد أصداء الشعر فى جنبات رواية حسنة البناء . ولا أدل على فن التشويق من فاتحة كل فصل وخاتمته . والقارىء لن ينسى المنظر الاول ، منظر « بول » تتأمل فى المرآة تجاعيد وجهها وتذعن للدهر ، ولن ينسى المنظر الاخير ، منظر « بول » تهتف من أعلى السلم انها عجوز للفتى الذى ودعته .. ومن عوامل التشويق أيضا ألا تنبئنا المؤلفة بكل شىء ، وانما تدع لنا أن نستخلص الامور ، وأن نفصل الاقوال الموجزة ، وأن نكمل ما نظنه ناقصا .

وتبدو براعة الصنعة فى « تركيب » أجزاء القصة وطريقة عرضها . فقد عمدت « ساجان » فى معظم الاحيان الى « المقابلة » بين شخصية وشخصية ، أو بين موقف وموقف : **فمن الذى يخون صاحبه فى عطلة نهاية الاسبوع ؟ أهى «بول» التى خرجت مع « سيمون » ، أم هو « روجيه » الذى فر مع «ميزى»** ؟ ان فى تتالى الفصلين السادس والسابع ، مايبرز هذه الموازنة ويقوى من وقعها . وتلك ظاهرة غالبة على بناء الرواية ، يمكن أن يلاحظها القارىء الذى يقارن بين الفصول

ويبحث لكل منها عن عنوان . وليس التماس الكاتبة للتعارض بين المواقف أو الاشخاص من قبيل الحرص على التنويع فحسب ، وانما هو تعبير أيضا عما يعترك فى النفس البشرية من متناقضات ، وعما يشوب الحياة من غصص . ونكتفى هنا للتمثيل على ذلك بقمة النشوة التى يرقى اليها « سيمون » أثناء الحفلة الموسيقية ، وحضيض الخيبة الذى يهوى اليه بعد انتهائها ، اذ يشقى بصدود « بول » .

ولم تهمل المؤلفة فى البناء والتركيب مراعاة النسب بين عناصر الرواية . فمكان الصدارة يحتله الابطال الثلاثة دائما ، وأهمهم « بول » . ويلوح الى جوارهم ، من حين الى آخر ، بعض تلك الشخصيات الثانوية التى يحلو لقلم ساخر أن يقدمها لنا فى غمز خفيف صادر عن ذكاء مرهف . فلدينا بفضل قليل من الالفاظ أو الاشارات صورة مدام « فان دن بيش » ، أو صورة المحامى الكبير الاستاذ « فلورى » ، أو صورة الرياضى يجدف فى زورقه على بحيرة غابة « بولونى » رغم اشتداد البرد . وفى تجاور الكلمات المتنافرة لذع يظهر التناقض فى صميم الشخصية ، ويفضح عبثها واضطرابها الباطل .

بين أيدينا اذن عمل جيد الصناعة ، لا يكاد ينال من اعجابنا بنواحي الاتقان فيه ما صادفنا من هنات هينات .

نجاح .. أم نجاة ؟

• **ويتميز** الادب الفرنسى فى هذه الايام بظاهرة جديدة ، هى خضوعه لشرائع الاستغلال الاقتصادى . وقد أصبح نشر القصص بوجه خاص من المشروعات التجارية التى تتأثر بمقتضيات العرض والطلب . وانتقلت الى النشاط الادبى في « باريس » عدوي « هوليوود » ، أي أساليب السينما

الامريكية وأخطارها .. وما كان ذلك شأن الادب في فرنسا حتى الامس القريب . فمنذ القرن السادس عشر ، أى منذ نشأة هذا الادب الحديث ابان عصر النهضة ، كان الانتاج الفكرى يتجه الى حيث تحدوه نزعات الكتاب والشعراء ، الذين كانوا يلتقون أحيانا فى منتديات المجتمع الراقى - « الصالونات » - فيذهبون مذهبا معينا ، أو يتسامرون في بعض المقاهى ، فتختمر فى رؤوسهم ميول وترتسم مناهج ، ويؤلفون على كل حال ما يشبه مدرسة من المدارس تتبع مبادىء فنية وتدعو اليها . وهكذا ظل الادب الفرنسي أدبا يقوده الخاصة لا العامة . وأما عقب الحرب الاخيرة فقد اشتدت التيارات الاقتصادية ، التى أغرت محترفى النشر والطباعة بالتكتل ما استطاعوا ، فى سبيل غزو الجمهور بأقدر الوسائل ، وابتزاز أضخم الارباح . وبطغيان هذه القوى المادية ، فقدت تلك الجماعات الادبية الصغيرة ، وتلك الهيئات الثقافية المتواضعة ، ما كانت تتمتع به من استقلال يضمن لها الاصالة والشخصية . وتركزت السلطة فى أيدى أصحاب الدور الكبرى ، التى يتحالف كل منها مع احدى المجلات الادبية الرائجة ، ان لم تكن الدار نفسها هى التى تصدر واحدة من تلك المجلات تبث على صفحاتها الدعاية لكتبها . وبات يقاس نجاح كتاب من الكتب بعدد مئات آلاف النسخ التى توزع منه . وتلك حظوة لا ينالها الا الاديب الذى يتبناه سيد من سادة السوق ..

ولهؤلاء السادة خطتان فى التنافس على جماهير القراء : ان يتخيروا للنشر ما يرضى الاغلبية العظمى ، او ان يطلعوا على الملأ ببدعة مثيرة تغتصب الاعجاب والاقبال .

وكانت « فرانسواز ساجان » خير بدعة استحوذ بها الناشر « جوليار » على قراء فرنسا ، عندما أخرج سنة ١٩٥٤

قصتها الاولى « مرحبا أيها الحزن » ، وأذاع أن هذه القصة الخلابة التى تصور عالما يجافى الاخلاق الفاضلة ، انما كتبتها آنسة فى الثامنة عشرة من عمرها ! وسرعان ما تلقفت ملايين أمريكا هذه البدعة ودفعتها الى آلات الطباعة وآلات السينما . وسطع بين ليلة وضحاها فى سماء العالم كله نجم هذه الفتاة التى كانت نكرة مهملة ، تتقدم لامتحان السنة الاعدادية بكلية الآداب فتفشل ، وتندب حظها ، وتهجر الجامعة !

ولقد فازت « ساجان » هذا الفوز المبين لانها حققت الخطتين فى آن واحد : فهى من ناحية بدعة مثيرة بشبابها وجرأتها ، وهى من ناحية أخرى تلبى ذوق الاغلبية العظمى بكتبها الخفيفة .

والحق أن القارىء العادى فى فرنسا قد انصرف اليوم عن مطالعة الكتب الطويلة النفس التى راحت تشركه فى ملحمة الانسان المعاصر ، وتبصره بنضاله الذى تشعب بين نظم المجتمع ومذاهب السياسة ومعانى الوجود . فمن فرط ما خاض الناس غمار المعارك والمناقشات ، زهدوا أخيرا فى ذلك الادب الذى بات هدفه أن يعالج المشاكل الكبرى ، وأن يتناول المسائل الفلسفية ، وأن يتساءل عن مصير البشر من خلال أحاديث البطولة والمقاومة ، وأحاديث الثورة على الاوضاع المعهودة والمغالطات المتوارثة ، وأحاديث التضحية والحرية وما آلت اليه قيم الحياة . **لقد ملوا مغامرات الانسانية التى روعهم بمشاهدها «مالرو» و «سانت اكسوبرى» و «سارتر» ومن سلكوا جادتهم** . ضاقت صدور هذا الجيل بأهوال الحروب وارهاق البطولات وذكريات المحن ، ولاذ القوم بالرواية اليسيرة القصيرة ، التى تقص لهم مغامرة خاصة لا عامة ، فردية لا جماعية ، نفسية عاطفية قبل كل شيء . وهذا هو اللون الذى راج منذ بضع سنوات ، وغمر المكتبات ، وتخصصت فيه « فرانسواز ساجان » .

ولقد أدت هذه الظروف والعوامل التى تتحكم حاليا فى سوق الادب الى ابراز أسماء كثير من النكرات ، لم تلبث أقلامهم حتى خرست عقب نشر كتاب واحد جيد عجزوا عن اتباعه بمثله أو بخير منه . وبذلك أثبتوا أن نبوغهم لم يكن الا وهما ، وانهم ليسوا بطبيعتهم ادباء ذوى فطرة أصيلة يستطيعون بها التغلب على مغريات النجاح المادية . فلا شك أن الكسب الغزير المفاجىء من شأنه أن يعزل الاديب عن وحيه ، وموارد المال خليقة بأن تستميل الفنان المترفه الى غير ينابيع الانسانية الخالصة التى لا بد له أن يستقى منها دائما . ترى هل نجت « فرانسواز ساجان » من شر هذا الرواج ؟

انها لم تصمت بعد كتابها الاول ، ولم يأفل نجمها على اثر سطوع عارض . واليوم تقدم لنا روايتها الرابعة ، **وكأنها تقدم الدليل على نضج كبير ، يتجلى فى دقة التحليل النفسى وعمقه ، وبراعة التصرف فى الفن القصصى** . ونحن الذين لا نقيس نجاح الاديبة الناشئة بعدد المتهافتين على رواياتها من قراء الكتب ورواد السينما ، لسنا نغمطها حقها ، بل نعترف لها بمزيد من الاجادة فى « هل تحبين برامس .. »

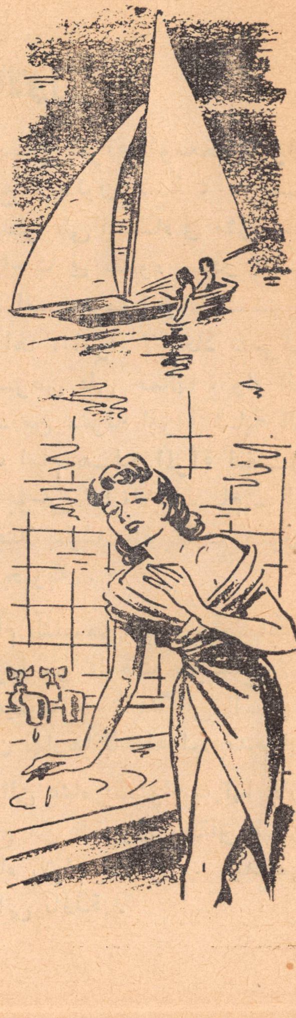
اننا نذكر ما عليها وما لها ، فنحيى قصتها هذه ونرحب بها ، ولكن فى شىء من الحذر ، قد تقضى عليه قصتها التالية .

« ا . ل . »

الفصل الاول

• **جلست** « بول » تتأمل وجهها فى المرآة ، وتحصى الهزائم التى ألحقتها بتلك القسمات تسع وثلاثون سنة ، هزيمة تلو هزيمة . ولم تستسلم لما يسيطر على النساء فى مثل هذه الحال من جزع وحنق ، وانما راحت فى هدوء سادر تلمس بشرتها الدافئة ، وتمط ما بين اصبعيها أحيانا لتستبين خطوطا وتجاعيد كأنها لامرأة سواها ، امرأة لا تكاد تتعرفها « بول » أخرى شديدة الحرص على جمالها ، ولو انها ما زالت تهبط - رغم جهادها - من منزلة امرأة شابة الى منزلة امرأة نصيف . لقد جلست أمام هذه المرآة لتقتل الوقت ، فاذا بها تكشف - مما يوحى لها بالابتسام - أن الوقت هو الذى يقتلها بمروره ، قتلا بطيئا ، اذ يهاجم صورة تعلم أنها كانت - فيما مضى - محبوبة .

كانت تنتظر « روجيه » فى تمام التاسعة مساء ، وساعتها تشير الآن الى السابعة . ان لديها من الوقت مايتسع لان تستلقى على سريرها ، وتغمض عينيها ، وتعمد الى السكون والراحة . وفيم عساها تفكر ؟ ان نهارها بأكمله لم يقدم لها أمرا يثير الشغف ، ولم يضطرها الى عناء يستوجب لها الآن أن تستريح ، وانما هو هذا المزاج من الخمول والقلق الذى كان يستولى عليها فى صباها أثناء الايام الممطرة ، فيدفعها من غرفة الى غرفة ، ومن نافذة الى نافذة .



ودخلت الحمــام ، وانحنت تمس الماء فى الحوض، فذكرتها هــذه الحــركة بحركة مماثلة بدرت منها فيما قبــل خمس عشرة سنة ، حينمــا كانت فى كنف زوجها « مارك » ، وكانا يقضيان العطلة السنوية معــا للمرة الثانية ، وقدأحست هى اذ ذاك بأن أمرهما لن يستقيم طويلا . كانا فى مركب «مارك» ، والشراع يخفق للريح خفقات قلب مضــطرب لم يجــد له مستقرا . كانت يومئــذ فى الخامسة والعشرين من عمرها ، وقد شعرت فجأة بفيض من السعادة يغمرها فترضى عن كل شىء فى الحياة ، وتقبل أوضاع الدنيا ، وتستبشر فى لمحــة

كومض البرق . ولكى تخفى وجهها المتهلل عن « مارك » ، تنحنى على الماء الشارد ، تريد أن تغمس فيه أناملها . ثم يرسو المركب الشراعى الصغير ، فيرميها « مارك » باحدى نظراته تلك الجوفاء التى كان يتقن تسديدها ، مما يحيل لذة السعادة فى نفسها توا الى لذع التهكم . أجل ، لقد ذاقت السعادة فيما بعد ، مع آخرين أو عن طريق آخرين ، ولكنها لم تذقها ابدا على نحو كلى جامع مانع . وهكذا خطرت لها تلك الذكرى ، كوعد لم تحققه الايام .

* * *

وأوشك « روجيه » أن يحضر ، فلعلها تشرح له ، أو تحاول أن تشرح له . سوف يقول : « نعم ، بكل تأكيد » فى لهجة من الرضا الذى يغتنمه كلما اجتلى لونا من غش الحياة ، وفى حماس حقيقى اذ يعلق على عبث الوجود ، وعلى عنادهما فى اطالة هذا العبث . ولكن شيئا فيه كان يعوض عن هذا كله : فهو ذو حيوية لا تنقطع ، وشهوات متمكنة ، يستمتع فى قرارة نفسه بالوجود استمتاعا لا يقف الا عندما يغلبه السبات . واذ ذاك كان ينعس دفعة واحدة ، ويده على قلبه ، متنبها الى حياته ـ نائما ـ تنبهه لها وهو يقظان . كلا ، انها لن تستطيع أن تشرح لروجيه أنها قد سئمت من أمرهما ، وانها تضيق بهذه الحرية التى سادت بينهما سيادة القانون ، هذه الحرية التى ينتفع هو بها ، على حين لا تخلف لها هى الا الوحدة . انها ما كانت تستطيع ان تطلعه على انها تحس نفسها احيانا كاحدى أولئك الاناث المتشبثات بتلابيب

الرجال ، فهو يكره ذلك النوع من النساء ، وفجأة بدا لها مسكنها الخالى بغيضا ، لا يروق ولا يجدي !

وفى الساعة التاسعة ، دق « روجيه » الجرس .. واذ فتحت له الباب ورأت ابتسامته وجسامته ، أذعنت للقدر من جديد وقنعت بأنها تحبه . وأخذها بين ذراعيه قائلا :

ـ يا لاناقة ردائك !.. انى مشتاق اليك . هل انت وحدك ؟

ـ نعم . ادخل .

« هل أنت وحدك .. ؟ » وماذا عساه أن يفعل لو أجابته : « لا ، انك تحضر فى وقت غير مناسب » ؟ ولكنها منذ ست سنين لم تجب هذا الجواب مطلقا . أما هو فلم يكن يفوته أن يسألها سؤاله ، وأن يعتذر أحيانا عن ازعاجها ، صادرا فى ذلك عن خبث كانت تلومه على اصطناعه أكثر مما تلومه على الهجر والتقلب (فما كان ليستطيع أن يقر فى ذهنه انها وحيدة وشقية بسببه) . وابتسمت له . وفتح زجاجة خمر ، وملأ كأسين ، وجلس :

ـ تعالى بالقرب منى يا « بول » . الى أين تريدين أن نذهب للعشاء ؟

فجلست بالقرب منه . وكان هو أيضا بادى السأم . وأخذ يدها فشد عليها وهو يقول :

ـ انى غارق فى أمور معقدة . شئون العمل غبية ، والناس مغفلون ومرتخون الى حد لا يمكن تصوره . آه ! أتعلمين ، ان الحياة فى الريف ..

فراحت تضحك وتقول :

ـ لو هاجرت الى الريف لما انقضي حنينك الي ما ألفته من « رصيف برسي » ، والمخازن وسيارات النقل ، والى لياليك الطويلة فى باريس ..

وعندما سمع العبارة الاخيرة ابتسم ، وتمطي ، واستلقى الى الوراء على الاريكة . وأما هي فلم تستدر ، وما برحت تنظر الى يده التى تركها على يدها ، يده العريضة المفتوحة . لقد كانت تعرف منه كل شيء ، تعرف شعره الغزير المنخفض المنبت ، وتعرف ما يلوح فى عينيه الزرقاوين الجاحظتين قليلا من تعبير قاطع ، وتعرف ثنية فمه . كانت تحفظه عن ظهر قلب !

قال :

ـ بمناسبة ذكر ليالى المجنونة ، لقد التقطنى رجال الشرطة اخيرا ـ ذات مساء ـ كما يلتقطون صبيا . كنت قد تعاركت مع شخص . الآن وقد نيفت على الاربعين .. فى قسم البوليس .. أتتصورين .. ؟

ـ ولماذا تعاركت ؟

ـ لست أذكر . ولكنه كان يتوجع .

ونهض واثبا ، كأنما قد أحيت قواه ذكرى هذا الحادث الذى دلل على شدة عضلاته . وقال :

ـ انى أعلم الى أين سنذهب . الى « البيمونتيه » . وسوف نمضى بعد ذلك الى حيث نرقص ، اذا شئت أن تعتبرينى من الراقصين .

قالت « بول » :

ـ انك تتمشي فى الحلبة بدلا من أن ترقص .

ـ ليس هذا رأى الجميع .

ـ اذا كنت تعنى رأى أولئك الشقيات اللواتى تستعبدهن ، فذاك شىء آخر .

وطفقا يضحكان ، فقد كانت مغامرات « روجيه » الصغيرة موضوعا ممتازا للدعابة بينهما . واستندت « بول » الى الجدار لحظة قبل أن تضع يدها على سياج السلم . لقد فارقتها العزيمة .

وفى سيارة « روجيه » أدارت المذياع بيد شاردة . ولمحت برهة ـ فى ضوء العدادات الشاحب ـ يدها تلك مستطيلة متجملة . كانت الشرايين منتشرة على سطحها ، وقد جعلت تتسلق لغزو الاصابع ، وتشابكت فى رسم مختلط .. فقالت فى نفسها : «تلك صورة حياتى» ، ولكنها سرعان ما استدركت وأفاقت من وهمها . فلقد كانت تزاول مهنة تروقها ، وكان لها ماض خال من الحسرات ، وأصدقاء طيبون . وكانت لها فوق ذلك علاقة عاطفية مستديمة . واستدارت نحو « روجيه » تسأله :

ـ كم مرة أتيت هذه الحركة ، حركة ادارة مذياع سيارتك وأنا ذاهبة للعشاء معك ؟

ـ لا أدرى .

وألقى عليها نظرة مواربة . فلقد ظل ـ بالرغم من طول عهده بها وتيقنه من حبها اياه ـ يستجيب فى ارهاف غريب لتغيرات مزاجها ، وما زال يترصد أطوارها ، كما كان يفعل فى أوائل أيامهما .. وحسبت هى شجونها بقولة : « هل

تتذكر ؟ » ، وقررت أن تشـــدد مراقبة عواطفها فى ذلك المساء لئلا تجنح الى الانين .

ـ هل تجدين الجهاز باليا ؟

ـ لا ، وانما أنا التى أحس أحيانا اننى قد بليت بعض الشىء .

ومد يده نحوها ، فأخذتها بين راحتيها . وكان يقـود السيارة مسرعا ، والشوارع المعروفة تنطوى تحت العربة ، وقد ائتلقت باريس بمطر الخريف . ومضى يضحك ويقول :

ـ انى أتساءل ، لماذا أسوق بهذه السرعة ؟ أخشى ان يكون ذلك رغبة منى فى الظهور بمظهر الشباب !

ولم تجب . فلقد كان منذ عرفته يتكلف الشـباب جادا ولا يعترف بتكلفه . كان يريد أن يقنعها بشبابه . أما وقد راح أخيرا يعترف لها بما يعمد اليه من تكلف ، فقد أخافها باعترافه هذا . وتزايد خوفها من دور « الامينـــة » الذى انزلقت اليه من فرط ما أبدت له من الفهم والحنان . لقد كان هو حياتها ، وكان ينساها فتعينه على أن ينســاها ، بحيائها النبيل الرائع !

وتعشيا فى هدوء ، وهما يتحدثان عن المنغصات الاقتصادية العامة التى شملت « روجيه » ضمن المشتغلين بشئون النقل ، ثم روت له اثنتين أو ثلاثا من طريف نوادر المحلات التجارية التى تعمل فى زخرفتها . لقد أصرت احدى عميلات « فات » على أن تتولى « بول » تزيين مســكنها . انها أمريكية ذات ثراء . فقال روجيه :

ـ « فان دن بيش » ؟ ذلك اســـم يذكرنى بشىء مـا . آه ! نعم ...

ورفعت حاجبيها مصيخة لما يقول ، وقد أذكى فيه الطرب هذا اللون من الذكريات .

ــ كنت أعرفها فى زمان خال ، أخشى أن يؤرخ بما قبل الحرب . وكان محلها المختار لدى « فلورانس » .

ــ لقد تزوجت بعد ذلك ، وطلقت ، ألخ .

قال حالما :

ــ نعم ، نعم ، كانت تدعى .. اوه ..

وأثار غيظها ، فخطر لها فجأة أن تنشب شوكتها فى كفه ، ولكنها قالت :

ــ لا يعنينى اسمها . أنا أظن انها أوتيت مالا لا بأس به وانها لم تؤت اى ذوق ، وهذا هو بالضبط ما يلزمنى لاكسب عيشى .

ــ كم يبلغ عمرها الآن ؟

ــ فى الستين .

قالتها ببرود ، فلما رأت ما ارتسم على ملامح « روجيه » انفجرت ضاحكة . ومال صاحبها فوق المائدة يحدق فيما أمامه ويقول :

ــ انى أستنكر قسوتك ، فأنت تتعمدين كل ما يحط من شأنى . ومع ذلك فانى أحبك ، وما كان يصح لى أن احبك .

لقد كان يروق له أن يمثل دور الفريسة . فتنهدت وقالت :

ــ مهما يكن من شىء ، سأذهب اليها غدا ، فى شارع « كليبر » . ان حاجتى الى النقود أصبحت ماسة .

وأضافت فى حدة لما رأته يرفع يده :

ــ وحاجتك أيضا ..

ـ فلنتحدث فى موضوع آخر . هيا نرقص قليلا .

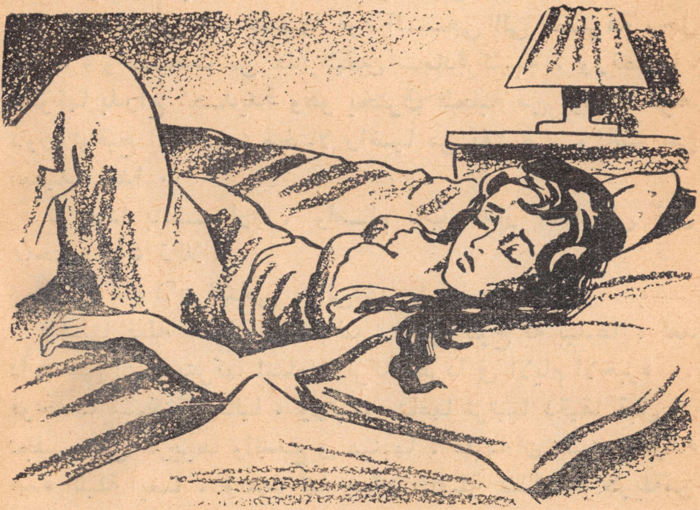
وفى ملهى ليلى اتخذا مجلسهما الى مائدة صغيرة ، بعيدا عن الحلبة ، ولبثا صامتين يستعرضان الوجوه العابرة . وكانت يدها فى يده ، فأحست بغاية الامن والطمأنينة ، وعلمت انها اعتادته الى حد يسلبها قوة السعى الى معرفة رجل سواه ، واستمدت من هذا اليقين سعادة كئيبة . ورقصا ، فطوقها بذراع شديدة وهو يخترق الحلبة من أولها لآخره دون توقيع أى نغم ، مختالا راضيا عن نفسه . وكانت هى سعيدة جدا .

ثم عادا بالسيارة . وأمام باب الدار الخارجى نزل فاحتضنها ، قائلا :

ـ أتركك الآن لتنامى . الى غد يا حبيبتى .

وقبلها قبلة خفيفة وانصرف ، وهى تلوح له بيدها . لقد دأب على أن « يتركها لتنام » تركا مطردا فى الايام الاخيرة .. فوجدت مسكنها خاليا ، ورتبت متاعها ترتيبا دقيقا قبل أن تجلس على سريرها والدمع فى عينيها . عليها أن تبيت وحيدة هذه الليلة أيضا . وبدت لها حياتها المقبلة كسلسلة طويلة من الليالى الموحشة ، تقضيها فى فراش سوى لا تتغضن كسوته أبدا ، وفى هدوء كالح كهدوء مرض طويل . ورقدت فمدت يدها فى حركة غريزية كما لو كان فى السرير الى جوارها خصر دافىء تلتمسه ، وخفضت من تنفسها وكأنها ترفق بنوم شخص ما ، رجل أو طفل ـ فهى لا يهمها من يكون هذا الشخص مادام محتاجا اليها ، محتاجا الى حرارتها لينام وليصحو ـ ولم يكن هناك من يحتاج اليها حقا ، اللهم الا « روجيه » ،

اذا حفزه حافز .. ولكنه لا يحتاج اليها حقا ، لا يحتاج اليها على هذا النحو ، عاطفيا ، بل على نحو بدنى ، أدركته أحيانا . وباتت تجتر فى وداعة ومرارة شجون وحدتها .



★ ★ ★

وترك « روجيه » سيارته أمام منزله ، وتمشى راجلا فينة طويلة . لقد مضى يتنفس تنفسا عميقا ، ويمد خطوته شيئا فشيئا . وكان يشعر بالارتياح ، هذا الارتياح الذى يغمره كلما لقى « بول » ، فهو لا يحب سواها . غير انه أحس هذه الليلة ــ وهو يودعها ــ بمبلغ حزنها ، ولم يدر ماذا يقول لها .

لقد سألته فى تلعثم شيئا يعرفه حق المعرفة ، شيئا لم يستطع قط أن يبذله لاى انسان . وربما كان من واجبه ان يبقى معها وأن يضاجعها - فما زالت تلك خير وسيلة لبعث الطمأنينة فى نفس امرأة - ولكنه كان متعطشا الى سماع وقع خطواته على قارعة الطريق ، والى أن يرقب تلك المدينة التى أدمن ارتيادها .. ولعله يفوز فيها بشىء من صيد الليل !

واتجه نحو الاضواء فى أقصى الرصيف .

الفصل الثانى

• استيقظت مضعضعة الجسم، متأخرة ، وخرجت مهرولة . كان عليها ان تمر لدى تلك الامريكية قبل أن تذهب الى مكتبها . وفى الساعة العاشرة ، دخلت غرفة استقبال نصف خاوية ، بشارع « كليبر » ، واذ وجدت أن ربة البيت لا تزال نائمة ، اعادت فى هدوء تجميل وجهها أمام المرآة . وفى المرآة ، رأت « سيمون » مقبلا . كان يرتدى « روب دى شامبر » فضفاضا ، وكان أشعث الشعر مرموق الجمال . فخطر لها « انه ليس من طرازى » ، ولم تستدر قط ، وانما ابتسمت لنفسها لحظة . كان نحيفا جدا ، أسمر جدا ، ذا عينين صافيتين ، مسرفا فى الرقة الى حد ما .

لم يبصرها فى أول الامر ، واتجه نحو النافذة وهو يدندن . وسعلت ، فالتفت نحوها وكأنه قد فوجىء متلبسا بجريرة . وظنت برهة أن هذا الفتى هو آخر نزوات «مدام فان دن بيش» بيد أنه قال لها :

ـ أسألك العفو ، فانى لم أبصرك . اننى « سيمون فان دن بيش » .

ـ لقد سألتني أمك أن أمر هذا الصباح لاتولى تنسيق المسكن . واخشي ان اكون قد ايقظت جميع اهل البيت .

ـ على كل حال ينبغى أن يستيقظ النائم ، عاجلا أو آجلا .

فاستشفت ـ وقد اعتراها الضيق ـ انه لابد على نمط الفتيان الرقاق الذين لا يكفون عن الشكوى والتأذى . ودعاها الى الجلوس ، واتخذ مكانه مواجها لها ، فى كثير من الجد ، وهو يشد رداءه المنزلى حول جسمه .

كان ـ فى أرجح الظن ـ متهيبا . وبدات « بول » تشعر بميل غامض نحوه . ومهمايكن من شىء ، فما كان يظهر عليه مطلقا أنه يعى قدر جماله البدنى ، وتلك صفة لم تكن تتوقعها ممن أوتى مثل وسامته .

ـ أظن ان المطر مازال مستمرا ؟

فطفقت تضحك . تخيلت ما عسى أن يرتسم على ملامح « روجيه » اذا رآها جالسة ـ بوجه كوجوه رجال الاعمال ـ تروع فتى غضا آية فى الحسن ، ملتفا فى ردائه المنزلى ، فى الساعة العاشرة صباحا . وأجابت مرحة :

ـ نعم ، نعم ، مازال المطر مستمرا .

ورفع عينيه فقال :

ـ ماذا تريدين أن أقول لك ؟ .. اننى لا أعرفك . لوكنت اعرفك من قبل لقلت لك اننى سعيد اذ أحظى منك بلقاء جديد ..

فنظرت اليه ، والدهشة تعقد لسانها .

ـ لماذا ؟

ـ هكذا .

وأشاح برأسه . ووجدت انه يتمادى فى الغرابة شيئا فشيئا . قالت :

ـ ان هذا المسكن بالفعل فى حاجة الى بعض الاثاث . أين تجلسون اذا زاد عددكم على ثلاثة ؟

ـ لا أدرى . فأنا لا ألم بالبيت الا نادرا . انى أعمل طيلة النهار ، وعندما اعود ، يدفعنى التعب الى النوم .

وتبددت جميع الافكار التى كونتها «بول» عن هذا الفتى . فهو لا يستغل جماله البدنى ، بل يعمل طيلة اليوم . وكادت تسأله : « وماذا تعمل ؟ » ولكنها امتنعت . لم يكن مثل هذا الاستطلاع من سجاياها .

واستأنف « سيمون » حديثه :

ـ اننى محام تحت التمرين . وذلك عمل مرهق ، يفرض على المرء أن ينام فى منتصف الليل وينهض فى الفجر ..

ولاحظت بول : « انها الساعة العاشرة » ، فقال وهو يجر صوته جرا :

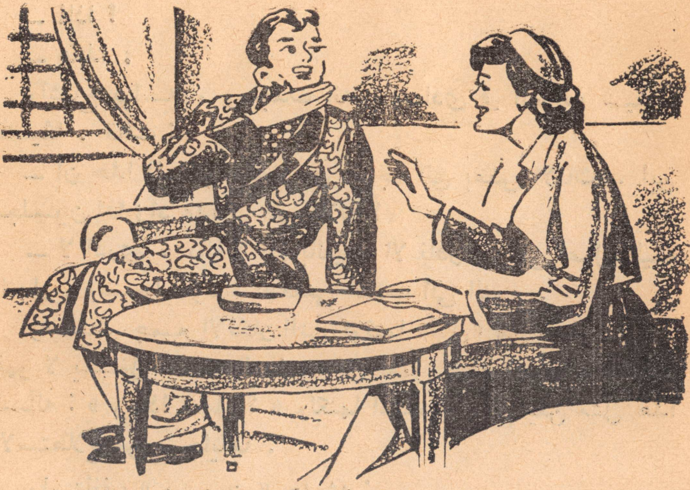
ـ لقد شنقوا أكبر موكل لى هذا الصباح .

فارتجفت . وظل يغض طرفه . قالت :

ـ رباه ... وهل مات ؟

وانطلقا يضحكان معا . وقام فتناول سيجارة مما فوق المدفأة .

ـ كلا ، فى الواقع ، اننى لا أعمل كثيرا ، ولا أعمل ما يكفى . وأما انت ، وقد خرجت فى العاشرة صباحا وتأهبت لتأثيث



« لقد شنقوا أكبر امو كل لى هذا الصباح ! »

غرفة الاستقبال هذه الرهيبة ، فانك تملأيننى اعجابا .

وكان يمشى من ناحية الى أخرى ، بادى الحماسة . فقالت بول :

ـ هدىء من روعك .

كانت تحس بأنها منشرحة الصدر ، مبتهجة . وبدأت تخشى قدوم أم « سيمون » .. وقال الفتى :

ـ انى ذاهب لارتدى ملابسى ، وأفرغ بعد دقيقة . انتظرينى .

* * *

وأنفقت ساعة مع « مدام فان دن بيش » التى كانت متعكرة المزاج بشكل واضح ، ذات نفور وضراوة فى الصباح . وبعد ان أعدت معها مشروعات معقدة ، نزلت السلم طروبا وهى ترسم خططا مالية ، وقد نسيت « سيمون » تمام النسيان. وفى الخارج كأن المطر ينهمر دائما . وما كادت ترفع ذراعها لتنادى سيارة أجرة حتى وقفت أمامها عربة واطئة ، فتح « سيمون » بابها قائلا :

ـ هل أستطيع أن أوصلك ؟ انى ذاهب الى المكتب .

ومن الواضح أنه كان ينتظر منذ ساعة ، ولكن استخفاءه أثر فى قلب « بول » . وركبت بمشقة كبرى وقد انثنت شطرين ، وابتسمت :

ـ انى أقصد شارع « ماتنيون » .

ـ هل اتفقت مع أمى ؟

ـ على خير وجه . عما قليل سوف يمكنك أن تستريح من متاعبك على أرائك وثيرة . أو لن أؤخرك كثيرا عن موعدك؟ لقد جاوزت الساعة الحادية عشرة ، وانفسح من الوقت للشانقين ما يكفى لشنق جميع الناس .

فقال عابسا :

ـ أمامى كل الوقت .

واستأنفت حديثها متلطفة :

ـ لست أسخر منك ، وانما أنا رائقة المزاج جدا لان هموما مالية ثقيلة كانت تحاصرنى ، وسوف تنقشع الآن بفضل أمك .

ـ طالبيها بأن تدفع مقدما ، فهى شديدة البخل .

ـ ما هكذا يتحدث المرء عن والديه .

— ان عمرى أكثر من اثنتى عشرة سنة !
— كم ؟
— خمس وعشرون . وانت ؟
— تسع وثلاثون .
فبدر من شفتيه صفير حمل من الوقاحة ما أشرف بها لحظة على الغضب ، ثم انفجرت ضاحكة .
— لماذا تضحكين ؟
— لصفير الاعجاب هذا ..
— انه أكثر اعجابا مما تظنين .
ونظر اليها فى حنان أفضى بها الى الارتباك .
كانت ماسحات الزجاج توقع حركاتها بانتظام على واجهة السيارة فى عبث مثالى ، وكانت هى تتساءل كيف يمكنه أن يواصل القيادة . وأثناء عملية ركوبها ، تمزق جوربها على احدى ساقيها ، وكانت تشعر بمرح عجيب فى هذه العربة غير المريحة ، مع هذا الفتى المجهول الذى تراه مفتونا بها ، وذلك المطر الذى يتسرب من السقف ويتلف معطفها الفاتح . وانشأت تدندن .. واستعرضت فى خاطرها انها تسدد ماعليها من ضرائب ، وترسل نفقة أمها ، وتوفى ديونها للمتجر ، فكم يبقى لديها بعد ذلك ؟ .. لم تكن راغبة فى الحساب . وكان « سيمون » يقود مسرعا ، هو أيضا . فانتقل فكرها الى « روجيه » ، والى الليلة التى قضتها .. وعادت اليها الكآبة .
— ألا تتفضلين بتناول الغداء معى ، يوما ؟
وكان « سيمون » يتكلم بسرعة ، دون أن ينظر اليها . واعترتها لحظة من الذعر . فيما كانت تعرفه ، مما يوجب

عليها أن تبذل جهدا فى الحديث ، وأن تسأله عن نفسه ، وأن تنفذ الى وجود جديد عليها . واصطرعت فى نفسها الافكار ثم قالت :

ــ لا أستطيع فى هذه الايام ، من كثرة العمل .

ــ آه ! طيب .

ولم يلح . وألقت عليه نظرة . كان قد كف عن السرعة ، بل وبدا عليه أنه يقود محزونا . وتناولت سيجارة ، فمد اليها قداحته . كانت قبضتاه كقبضتى غلام يافع ، هزيلتين نحيلتين ، تخرجان بشكل مضحك من سترة كثيفة الصوف . وخطر لها « ان امرءا فى مثل هذه الوسامة لا يصح له أن يلبس ما يلبسه الصياد » ، وساورتها الرغبة فى أن تعنى به . لقد كان خير صورة للولد الذى يوحى لامرأة فى مثل سنها بعواطف الامومة . قالت :

ــ ها هنا .

ونزل دون أن ينطق بكلمة ، وفتح لها الباب . وكان كالمغلوب على أمره ، كاسف البال . فقالت :

ــ أكرر شكرى .

ــ العفو .

وخطت ثلاث خطوات نحو بابها ثم التفتت . كان ينظر اليها ، جامدا .

الفصل الثالث

• أنفق «سيمون» ربع ساعة فى البحث عن مكان يؤوى اليه عربته ، وانتهى به الامر الى أن تركها على بعد خمسمائة

متر من مكتبه . كان يعمل لدى صديق من أصدقاء أمه ، هو محام ذائع الصيت ، دنيء الى أقصى حد ، ولكنه ـ لاسباب يخشى « سيمون » أن يفهمها ـ كان يتحمل سخافاته . وكانت تراود « سيمون » بين الحين والحين نزعة الى مغايظة هذا الرجل ، غير أن كسله كان يمنعه . وعندما هم بالمشى على افريز الطريق ، اصطدم بالافريز ، فأخذ يعرج فى مشيته ، فى وداعة واذعان . وراحت تلتفت اليه النساء السائرات ، وهو يحس برأيهن فيه يقرع ظهره : « عاهة فى مثل هذا الشباب وهذا الجمال ، ياللخسارة ! » . ولم يكن مع ذلك يستمد من وسامته غرورا ، بل عزاء : « ماكنت لاقوى أبدا على ان أظهر بين الناس دميما » . وتخيل ـ على أثر هذه الفكرة ـ حياته زاهدا ، تارة فنانا ملعونا يرسم ، وتارة أخرى راعيا فى ارض « اللاند » .

ودخل المكتب يعرج ، فألقت عليه العجوز « أليس » نظرة نصفها اشفاق ونصفها شك . لقد كانت تعرف أساليبه فى اللهو ، وتحتملها فى تفضل منها ملىء بالحسرات . فلو قد كان جادا ، الى جانب ما أوتى من براعة الحسن والمخيلة ، لاصبح من كبار المحامين . وحياها تحية جليلة ثم جلس الى منضدتها .

ـ لماذا تعرج ؟

ـ انه عرج هين . من قتل ومن انقتل فى الليلة البارحة ؟ ومتى يحين لى أن أترافع فى جريمة رائعة لا تطاق ؟

ـ لقد سئل عنك ثلاث مرات هذا الصباح . انها الساعة الحادية عشرة والنصف الآن .

وكانت صيغة المبنى للمجهول تعنى الاستاذ الكبير ، فصوب « سيمون » نظرة نحو بابه .

ـ لقد استيقظت متأخرا ، ولكنى قابلت شخصية ممتازة .

ـ امرأة ؟

ـ نعم . تصورى وجها جميلا جدا ، رقيقا جدا ، مضنى بعض الشيء .. وحركات .. تعانى ألما لا يدريه جليسها ..

ـ خير لك أن تنظر فى ملف « جيو » .

ـ سمعا .

ـ أهى متزوجة ؟

فخرج « سيمون » فجأة من أحلامه .

ـ لست أدرى .. ولكنها اذا كانت متزوجة ، فانها قد أساءت اختيار زوجها . كانت تنغص عليها هموم مالية ثم انزاحت عنها فاستخفها الطرب . انى لاحب النساء اللواتى يفرحهن المال .

فهزت كتفيها قائلة :

ـ اذن فأنت تحبهن جميعا .

ـ تقريبا . ما عدا ذوات الشباب الفج .

وانغمر فى الملف الموضوع أمامه . وانفتح الباب ، وأطل رأس « الاستاذ فلورى » :

ـ يا أستاذ فان دن بيش ... دقيقة واحدة .

وتبادل « سيمون » والسكرتيرة نظرة ، ثم مضى الى ذلك المكتب الانجليزى الطراز الذى كان يكرهه لفرط أناقته .

ـ أتعرف كم الساعة الآن ؟

وانطلق « الاستاذ فلورى » فأطنب فى تقريظ المحافظة

على المواعيد ، والجد فى العمل ، وختم خطابه بامتداح صبره شخصيا وصبر « مدام فان دن بيش » . وكان « سيمون » ينظر من النافذة . خيل اليه أنه يحيا من جديد مشهداً قديما ممجوجا ، وانه قد عاش فى هذا المكتب الانجليزى يسمع تلك الالفاظ بعينها دائما ، كما خيل اليه أن شيئا يضيق من حوله فيكتم أنفاسه ويزهق روحه . وخطر له على حين غرة : « ماذا فعلت فى حياتى منذ خمس وعشرين سنة ، أللهم الا انتقالى من مدرس الى مدرس ، ينهرنى هذا وينهرنى ذاك ، وأتشرف بأن أكون محل الانتهار دائما ؟ » وكانت تلك هى المرة الاولى التى يصوغ فيها ذلك السؤال بمثل هذه الشدة . ورفع صوته رفعا آليا :

ـ ماذا فعلت ؟

ـ ماذا تقول ؟ انك لم تفعل شيئا يا صديقى العزيز ، وهنا موطن الداء ، وهو انك لا تفعل شيئا .

وأردف « سيمون » :

ـ بل وأظن كذلك أننى لم أحب احدا قط .

فانفجر الاستاذ « فلورى » :

ـ أنا لا أطلب منك أن تقع فى غرامى أو فى غرام الشيخة « اليس » . انا اطلب منك ان تعمل . ان لصبرى حدوده .

ورد عليه « سيمون » فى داخل نفسه :

ـ ولكل شىء حدوده .

كان يحس بأنه قد هام فى حلم ، وتوغل بين معان تجانب الصواب ، وكأنه لم ينم منذ عشرة أيام ، يمضه الطوى ، ويفترسه العطش .

ـ أتسخر منى ؟

فأجاب « سيمون » :

ـ لا . اعذرنى ، وسوف أراعى العمل .

وخرج بخطوات الى الوراء ، وجلس الى مكتبه ، واضعا رأسه بين يديه ، تحت نظرات « مدام أليس » المشدوهة . وظل يفكر : « ماذا دهانى ؟ ما الذى حل بى ؟ » . وحاول أن يتذكر : أيام الطفولة فى انجلترا ، وجامعات ، وحبا مشبوبا ـ أجل ، وهو فى الخامسة عشرة ـ أشعلته فى قلبه احدى صديقات أمه ، ولم تزل تغريه حتى اخرجته من سذاجته فى تمام أسبوع واحد ! .. ثم حياة سهلة ، ورفاقا مرحين ، وبغايا ، وطرقات مشمسة .. دار هذا كله فى ذاكرته دون أن يستوقفه شىء منه . وربما لم يكن له فى هذا كله أى شىء ، بيد أن له من العمر خمسا وعشرين سنة .

قالت « مدام أليس » :

ـ لا تزعج نفسك . سوف ينسى غضبه ، كما تعرف .

فلم يجب . وكان يخطط بقلم شارد على صفحة نشافة .

فاستأنفت « مدام أليس » فى قلق :

ـ أفتفكر فى صويحبتك ؟

ثم استدركت فأضافت :

ـ أم تفكر فى ملف « جيو » ؟

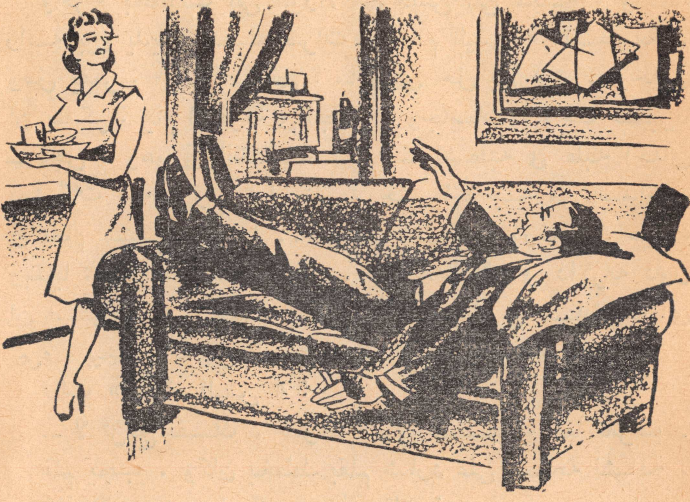
ـ ليس لى صويحبة .

ـ وتلك التى قابلتها هذا الصباح ، قلت لى ما اسمها ؟

ـ لا أعرف .

وحقا لم يكن يعرف منها حتى اسمها .. كانت هناك فى

باريس ، شخصية لا يعرف عنها شيئا ، وكان ذلك فى حد ذاته شيئا ساحرا ، ما كان ليطرق خاطره .. شخصية يستطيع أن يتخيلها كما يهوى أن يتخيلها أياما كاملة .



★ ★ ★

وكان « روجيه » مستلقيا على الاريكة فى غرفة الاستقبال ، يدخن متأنيا ، وقد هدمه التعب . كان قد انفق نهاره على رصيف الواردات يراقب ما له من عربات النقل العائدة ، فبلله المطر ، واضطر فوق ذلك الى أن يرحل صوب مدينة « ليل » - فى ساعة الغداء - ليعاين فى الطريق حادثا سوف يكلفه ما يزيد على مائة ألف فرنك . وكانت « بول » ترفع ما بقي على المائدة بعد تناول العشاء . قال :

ـ وما أخبار « تيريزا » تلك ؟

ـ أى « تيريزا » ؟

ـ « مدام فان دن بيش » . لقد تذكرت اسمها هذا الصباح ، لماذا ؟ الله أعلم .

قالت « بول » :

ـ لقد اتفقنا . عهدت لى بكل شىء . ولم أنبئك بالامر لانى أرى تزاحم المتاعب عليك ..

ـ أتظنين ان انقضاء متاعبك مما يثقل همومى ؟

ـ كلا ، وانما ظننت ببساطة أن ...

ـ أو تحسبيننى شديد الاثرة يا « بول » ؟

وكان قد جلس على الاريكة ، يحدق فيها بعينيه الزرقاوين ، بادى الهياج . فأمسى من الواجب عليها أن تهدىء ثائرته ، وأن تشرح له انه أفضل الرجال ـ وهذا صحيح من وجهة نظر معينة ـ وانه يسعدها سعادة جزيلة . وجلست بالقرب منه .

ـ ما انت بذى أثرة ، وانما أنت رجل تستغرقك اعمالك ، ومن الطبيعى ان تتحدث عنها ..

ـ لا . اننى أعنى سؤالى بالنسبة اليك . أتجديننى شديد الاثرة ؟

ورأى انه قد فكر فى هذا الموضوع طيلة النهار ؛ ولعله بدأ هذا التفكير منذ تركها فى الليلة البارحة أمام بابها وهى مضطربة العينين . وأما هى فترددت : لم يكن قد سألها على الاطلاق هذا السؤال من قبل ، فلعل الوقت قد حان لان تناقش الامر معه . ولكنها كانت تحس بأنها رائقة المزاج ، واثقة من

نفسها ، على حين يبدو صاحبها ضجرا ضيق الصدر .. فتراجعت .

ـ لا يا «روجيه» . صحيح أن هناك لحظات أشعر فيها بشيء من الوحدة ، وبأن شبابى يفارقنى ، وبأنى لا أستطيع أن أتبعك . ولكننى سعيدة .

ـ أسعيدة انت ؟

ـ نعم .

فاستأنف تمدده على الاريكة . لقد قالت : «انى سعيدة» ، فلم يكن على ذلك السؤال الصغير المقلق الذى لاحقه طول النهار الا أن ينقشع . وهذا ما كان يتمناه .

ـ أتعلمين ، أن جميع هذه الامور الصغيرة التى تعرض لى .. انك تعرفين قدرها .

ـ نعم ، نعم .

وكانت تنظر اليه ، وهو مغمض عينيه ، فتجده صبيانيا ، وقد استلقى على هذه الاريكة بقامته الطويلة وكتلته الثقيلة يسألها مثل أسئلة الاطفال : « هل أنت سعيدة ؟ » . ومد يده نحوها ، فتناولتها ودنت منه . وظل هو مغمض العينين ، يقول :

ـ بول ، بول .. لولاك ، انك تعرفين يا بول ..

ـ نعم .

وانحنت فقبلت وجنته . كان قد استغرق فى النوم . ورفع فى رفق يده من بين يدى « بول » ، ووضعها على قلبه . وفتحت هى كتابا .

وبعد ساعة استيقظ تملؤه الحركة ، واستطلع ساعته

فقرر أن الوقت وقت الخـروج للرقص والشرب ، لنسيان جميع سيارات النقل تلك اللعينة . وكانت « بول » تغالب النعاس ، ولكن ليس هناك من الحجج ما يستطيع مقـاومة نزوة من نزوات « روجيه » .

قادها الى مكان جديد فى طابق تحت الارض بشارع «سان جرمان » ، نسق على شـكل حـديقة من حدائق الميادين ، تغمرها الظـلال ، ويصب فيها الحاكى فيضـا صاخبا من موسيقى أمريكا الجنوبية .

قالت « بول » وهى تجلس :

ــ انى لا أقوى على الخروج كل ليلة . سـوف أبدو غدا عجوزا فى سن المائة . بل وعندما قمت صباح اليوم ..

واذ ذاك فقط تذكرت « سيمون » . كانت قد نسـيته تماما . فالتفتت الى « روجيه » :

ــ تصور أننى فى هذا الصباح ..

ولكنها سكتت . كان « سيمون » واقفا أمامها . وقال :

ــ مساء الخير .

فقدمت « بول » كلا منهما للآخر :

ــ السيد « فيرتيت » ، السيد « فان دن بيش » .

قال « سيمون » :

ــ لقد كنت أبحث عنك وها أنذا أجدك . ذلك فأل حسن .

ودون ان ينتظر دعوة ما ، هوى على كرسى صـغير . واشرأب « روجيه » ساخطا . وأما « سيمون » فاستأنف نجواه :

ــ مضيت أبحث عنك فى كل مكان ، وانتهيت الى أن أسائل

نفسى هل أنا رأيتك فى حلم !

وكانت عيناه تلمعان ، وقد وضع يده على ذراع « بول » التى أذهلتها الدهشة .

قال « روجيه » :

ـ أظن أن لديك مائدة أخرى .

... بينما راح « سيمون » يسأل « بول » :

ـ هل أنت متزوجة ؟ لقد أبيت على نفسى أن اصدق هذا الخاطر .

فقال « روجيه » بصوت مرتفع :

ـ انه يغيظنى . سأعيده الى مكانه .

ونظر اليه « سيمون » ، ثم اتكأ بمرفقيه على المائدة ، ورأسه بين كفيه ، وأنشأ يقول :

ـ انك على حق يا سيدى ، وأنا أسألك المغفرة . أظن اننى شربت قليلا . ولكننى اكتشفت صباح اليوم انى لم أفعل فى حياتى شيئا قط ، لا شىء على الاطلاق .

ـ فافعل اذن شيئا لبقا ، وانصرف !

قالت « بول » فى وداعة :

ـ دعه ، انه شقى . لقد حدث لنا جميعا فى يوم من الايام أن أسرفنا فى الشراب . انه ابن التى تدعوها .. أوه .. « تيريزا » .

فقال « روجيه » مأخوذا :

ـ ابن ؟ .. ذلك أنكى ما فى الامر .

وانحنى الى الامام حيث كان « سيمون » قد حط رأسه على ذراعيه . وقال « روجيه » :

ـ استيقظ . سوف نشرب كأسا معا وتشرح لنا شجونك . انى ذاهب لآتى بالكئوس ، فما أبطأ الخدمة هنا !

كانت خصلة من شعره قد تدلت على عينيه ، وأضواء الشموع تنحت وجهه . كان بديعا . والى المائدة المجاورة أخذت امرأتان تتأملان صورته ، فى متعة ونعيم .

قال « سيمون » :

ـ انى استغفرك . ألا ويحى : أقضى حياتى فى الاعتذار منذ الصباح . أصارحك القول ، ما أرى الا اننى صعلوك .

وعاد روجيه حاملا ثلاث كئوس ، وتمتم ما معناه أن الجميع معرضون للوقوع فى مثل هذا الحرج . واجترع « سيمون » كأسه جرعة واحدة ، ولزم الصمت والحذر . كان جالسا الى جانبهما لا يتحرك . ونظر اليهما يرقصان ، وسمعهما يتحدثان ، دون أن ينبس ، حتى نسيا وجوده شيئا فشيئا . غير أن « بول » كانت اذا استدارت من وقت الى آخر ، رأته فى كنفها كطفل عاقل ، ولم تستطع أن تكتم ضحكها .

وحينما نهضا لينصرفا ، هب واقفا فى أدب ، ثم انهار . فقررا أن يوصلاه الى بيته . وفى سيارة « روجيه » ، نام ورأسه يرتج على كتف « بول » . كان شعره حريريا وكان تنفسه هادئا . ووضعت بول يدها على جبهته لئلا يصطدم بالزجاج ، ثم اعتمد الرأس على يدها ثقيلا مستسلما . واذ بلغوا شارع « كليبر » ، نزل « روجيه » فدار حول العربة وفتح الباب .. وهمست له « بول » :

ـ ترفق !

وفاجأه تعبيرها الحانى ، ولكنه لم يقل شيئا ، وأخرج « سيمون » من العربة . وفى تلك الليلة ، صعد مع « بول » عندما أعادها الى مسكنها ، وبات فى سباته يضمها اليه ضما حال بينها وبين النوم وقتا طويلا .

الفصل الرابع

• فى ظهر اليوم التالى – وكانت قد انثنت على ركبتيها داخل واجهة محل الازياء ، وهى تحاول أن تقنع الخياط بأن تمثالا نصفيا من « الجبس » ليس بدعة خلابة تبرز جمال قبعة يبغى تعليقها عليه – وصل « سيمون » . وكان يختلس النظر اليها منذ خمس دقائق ، مختبئا وراء « كشك » ، وقلبه يخفق – دون أن يدرى أيخفق لرؤيتها ، أم لاستخفائه ! .. لقد كان يحب الاستخفاء دائما ، وكان يستخدم أحيانا يده اليسرى فتظل تتلوى كأن يده اليمنى قد تقلصت على مسدس أو اكتست بالدماميل ، مما كان يثير ذعر الناس فى المتاجر . لا بد أنه كان ممن تدخل أعراضهم فى اختصاص علماء التحليل النفسى ، أو هكذا على الاقل كانت تزعم أمه .

وبينما كان ينظر الى « بول » جاثية فى داخل واجهة المتجر ، تمنى لو أنه لم يقابلها مطلقا ، ولم يرها على هذه الصورة من خلال الزجاج ، اذن لوفر على نفسه هوان الصد الذى أقبل يسعى اليه للمرة الثانية . ماذا عساه قد قال فى الليلة البارحة ؟ لقد سلك سلوك ولد مقفل ، فسكر سكرا وخيما ، وتحدث عن دخائل نفسه ، وذلك أقبح التبذل ! ..



وتوارى خلف « الكشك » ، وهم بالانصراف ، ثم ألقى عليها نظرة أخيرة ، واذا برغبة تحثه على أن يعبر الشارع ، وأن ينتزع منها القبعة ، تلك القبعة القاسية بدبابيسها الطويلة الناشبة فيها ، وأن ينتزعها هى من عملها ، من تلك الحياة التى تفرض عليها أن تنهض فى الفجر لكى تحضر فتجثو على ركبتيها فى واجهة متجر ، تحت أنظار المارة ! .. وكان المشاة فى الشارع يقفون ، ويتطلعون اليها ، وكان بينهم ولا شك من يشتهيها ، فى وضعها ذاك ، جاثية كما هى ، مادة ذراعيها نحو التمثال النصفى المجبول من الجص ..

.. واشتد شوقه اليها فعبر الشارع . وتخيلها بالفعل وقد سرى بها الندم من وقع نظراته ، والاعياء ، وكأنها تلتفت

نحوه لفتة الملهوف الى المفر .. ولكنها اقتصرت على تحيته بابتسامة صغيرة جافة !

ـ هل ترغب فى شراء قبعة لاحد ؟

فتمتم .. غير أن الخياط راح يخاطبه فى عنف، لا يخلو مع ذلك من تدلل :

ـ سيدى العزيز ، انك تنتظر « بول » ، هذا شىء جميل، تفضل بالجلوس هناك ودعنا ننجز أمرنا .

فقالت « بول » وهى تزحزح شمعدانا :

ـ انه لا ينتظرنى .

قال « سيمون » :

ـ لو كان لى أن أتصرف لنحيته الى اليسار ، ولدفعته قليلا الى الوراء . فذلك أكثر ايحاء .

فنظرت اليه برهة فى غضب . أما هو فابتسم لها . لقد تبدل الدور الذى يؤديه ، وغدا دور الفتى الذى يمضى لاصطحاب عشيقته من مكان أنيق .. الفتى ذى الذوق المرهف . وأعجب الخياط بفتواه ـ وكان رجلا من عشاق الذكور ـ اعجابا وان لم يحفل به « سيمون » ، الا انه أصبح مادة للفكاهة بين « بول » وبينه . فقد قال الخياط :

ـ انه على حق : ذلك أكثر ايحاء .

فقالت « بول » فى برود :

ـ ايحاء بماذا ؟

ونظرا اليها .

ـ بلا شىء . بلا شىء على الاطلاق .

وطفق يضحك وحده ، وكان ضحكه من المرح بحيث لوت

« بول » رأسها لئلا تشترك فيه . واغتاظ الخياط فابتعد . وبينما هى تتراجع قليلا عن زجاج الواجهة لتجتلى المنظر العام ، صدمت كتف « سيمون » ـ الذى كان قد اقترب ـ فأسندها من مرفقها على المنصة . وقال فى صوت حالم :

ـ انظرى ، ان الشمس مشرقة .

ومن خلال الزجاج المغرورق بالماء ، كانت الشمس تنفذ اليهما ، فتبث فيهما هذا الدفء المفاجىء ، الملىء بحسرات يجيش بها دبيب الخريف . وانغمرت « بول » فى تلك الاشعة اللاذعة ، وقالت :

ـ نعم ، ان الشمس مشرقة .

ولبثا لحظة جامدين ، فهى ما زالت فوق المنصة ، أعلى منه ، تديرله ظهرها وتعتمد مع ذلك عليه . ثم تخلصت منه ، قائلة :

ـ كان خيرا لك أن تسعى الى النوم .

ـ انى جائع .

ـ اذهب اذن لتتناول غداءك .

ـ ألا تودين أن تأتى معى ؟

فترددت . كان « روجيه » قد أنبأها بأن عمله سوف يستبقيه فلا يستطيع لقاءها ، ولذلك رأت أن تقصر طعامها على شطيرة تأكلها فى الحان المقابل ثم تفرغ لشراء بعض لوازمها . ولكن دعاء الشمس هذا المفاجىء قد خلع على أرضيات المقاهى وممرات المحلات التجارية الكبرى صورة كريهة . وكانت تتوق الى العشب ـ ولو كان عشبا مصفرا مسته يد الخريف ـ فقالت :

ـ انى أتوق الى العشب .

ـ هيا بنا اليـــه . ان معى عربتى القـديمة ، والريف قريب ..

وبدرت منها اشارة بالنهى . الريف ، فى صحبة هذا الفتى الصغير المجهول ، والذى قد يكون مملا .. ساعتان فى حديث خاص .. ؟

فأضاف ليطمئنها :

ـ ... أو غابة « بولونى » . وهناك تستطيعين اذا أصابك الملل أن تستدعى سيارة من سيارات الاجرة بالتليفون .

ـ انك تفكر فى كل شيء .

ـ ينبغى أن أصارحك بأننى كنت بالغ الخجـل عنـدما استيقظت . وقد حضرت لاعتذر .

فقالت « بول » فى لطف :

ـ هذا النوع من الحوادث يقع للجميع .

وارتدت معطفها .. كانت الاناقة فنا تجيده الى درجة الابداع . وفتح لها « سيمون » باب العربة ، فجلست فيها دون أن تتذكر متى قالت « نعم » جوابا على الدعوة الى هذا الغداء الغريب . وانخدش جوربها أثناء ركوبها ، فجأرت لحظة من الغضب ، وقالت :

ـ أظن أن صويحباتك يلبسن « البنطلونات » .

قال :

ـ لم يعد لى ..

ـ صويحبات ؟

ـ نعم .

ـ وكيف كان ذلك ؟

ـ لست أدرى .

وكانت نفسها تنازعها الى السخرية منه . فهذا المزاج من التهيب والجرأة ، ومن الرزانة ـ التى تكاد تثير الضحك أحيانا ـ والتهكم ، كان يطربها . واذ قال « لست أدرى » فى صوت شبه خفيض ، يحوطه الغموض ، هزت رأسها :

ـ حاول أن تتذكر .. متى بدأ هذا الصدود الاجماعى عنك ؟

ـ كنت أنا البادىء فى واقع الامر ، لو تعلمين ! كنت مع فتاة لطيفة غير أنها مسرفة فى الخيال . لقد كانت مثل صورة للشباب ، بالنسبة لمن بلغوا سن الاربعين .

وسجلت فى نفسها هذه الاصابة .

ـ وأى صورة للشباب يتمثلها الانسان فى سن الاربعين ؟

ـ الحق .. كانت عليها سمات « البلية » ، تقود سيارتها بأقصى سرعة ، وهى مطبقة فكيها ، وتدخن سجائر « الجولواز » الحامية منذ تفيق من نومها .. ثم ، كانت تقول لى ان الحب ليس الا تلامس بشرتين !

وطفقت « بول » تضحك .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ عندما مضيت عنها ، بكت .. بالرغم من أسلوبها فى الحياة .

وأضاف فى حدة :

ـ ولست بهذا أفتخر . فانى أستنكر المآسى .

وكانت تفوح فى الغابة رائحة العشب البليل ، والخشب الذى دب اليه العطن ، ونسائم الخريف . ووقف أمام مطعم

صغير ، فدار مهرولا حول العربة ليفتح لصاحبته الباب . وبذلت « بول » مجهودا عضليا كبيرا لكى تنزل فى رشاقة . وملأها الاحساس بأنها قد انطلقت الى مغامرة من مغامرات الفرار .

وطلب « سيمون » على الفور « كوكتيل » ، فنظرت اليه « بول » فى قسوة ، وقالت تؤنبه :

ـ بعد ليلتك الماضية ، ما كان ينبغى أن تشرب سوى الماء .

ـ أشعر بأننى على ما يرام . ثم أن الشجاعة تعوزنى . ينبغى اذن أن أتدبر الامر بحيث لا تضايقك صحبتى الى أكثر من حد معلوم ، ولذلك اتزود بما يشحذ قواى .

وكان المطعم خاليا على وجه التقريب ، والخادم عابسا ساخطا . ولزم « سيمون » الصمت ، واتصل صمته بعد أن طلبا ما يريدان من شراب وطعام . وبالرغم من ذلك ، لم يخطر لبول خاطر الملل ، فقد بدا لها أن هذا صمت متعمد ، وان « سيمون » يحتفظ ببرنامج للحديث أثناء تناول الغداء . لا بد أن يكون هذا الفتى مليئا بالافكار الخفية دائما ، شأنه شأن القط .

وفجأة قال فى تدلل ، يحاكى الخياط :

ـ انه أكثر ايحاء ..

ولم تكن « بول » تتوقع ذلك ، فانفجرت ضاحكة .

ـ أتجيد المحاكاة مثل هذه الاجادة دائما ؟

ـ لا بأس . وللأسف ، ليس لنا كثير من المعارف المشتركة . ولو حاكيت أمى ، لرميتنى بالعقوق . ومع ذلك

فلأفعل : « ألا تظنين أن اشعاعا من الحرير اللامع ، هنا ، نحو اليمين قليلا ، يبعث شيئا من الانس ، ومن الحرارة ؟ »

ـ انك ولد عاق ، ولكنك تتقن التمثيل .

ـ وأما صاحبك في سهرة البارحة ، فلم يتيسر لى أن أراه مليا . ثم انه لا بد ان يكون ، فوق ذلك ، غير قابل للتقليد .

وسرت لحظة من الصمت . وابتسمت « بول » .

ـ انه كذلك .

ـ وأما أنا ، فلست الا نسخة باهتة منقولة عن شرذمة من صغار الفتيان الذين أفسدهم التدليل ، وانحشروا في صفوف المهن الحرة بفضل ذويهم ، وراحوا يلتمسون تزجية لفراغهم . انك لتخسرين فى المقايضة اذا استبدلت بصحبته صحبتى .. أعنى ساعة الغداء .

وأفاقت « بول » اذ صدمتها نبرة الهجوم فى صوته . قالت :

ـ ان « روجيه » مشغول . ولولا ذلك ، لما كنت هنا الآن .

فقال فى نغمة حزينة بلبلت خاطرها :

ـ انى لاعلم ذلك حق العلم .

واثناء ما بقى لهما من فسحة الغداء ، تحدث كل منهما عن العمل الذى يزاوله . ومثل « سيمون » قصة احدى الجرائم العاطفية تمثيلا كاملا . وفى موقف ما ، هب كالمحامى الذى انطلق يترافع ، وصوب اصبعه نحو « بول » التى استرسلت فى الضحك ، وأنشأ يقول :

ـ وأما أنت ، فانى أتهمك بأنك نقضت واجبك الانسانى .. باسم هذا الفقيد ، اتهمك بأنك تركت الحب يولي عنك ،



وبأنك أهملت حقك فى السـعادة ، وبأنك عشت تتذرعين بالحلول الزائفة ، وتتعللين بتوافه الامور ، وتلوذين بالخنوع والاذعان . انك لجديرة بأن تحكم عليك المحكمة بالاعـدام ، ولكنها ستحكم عليك بالوحدة .

وتوقف ، فشرب كأسه المترعة بالنبيذ ، جرعة واحدة . بينما ظلت « بول » بلا حراك . ثم قالت وهى تبتسم :

ــ كم هو رهيب هذا الحكم !

ــ انه شر عقوبة . لا أرى شرا منه ، ولا أرى الى الفرار منه سبيلا . وليس يروعنى شىء أكثر مما يروعنى هذا الحكم . على أن جميع الناس يشعرون مثلى بهذا الخوف ، ولكن لا

يبوح واحد منهم بذلك الشعور . أما أنا ، فتمتلكنى الرغبة فى أن اصرخ احيانا : انى خائف ، انى خائف ، احبونى !

فقالت ، وكأنها تتكلم بغير ارادتها :

ــ وأنا أيضا .

وفى لمحة ، طافت بها صورة طرف الجدار المقابل لسريرها ، فى غرفة نومها ، وما ارتسم فى ذلك الحيز من ستائرمسدلة ، ولوحة قدم بها العهد ، ومنضدة صغيرة الى اليسار .. ذلك المشهد الذى كانت تنظر اليه كل يوم ، صباح مساء ، وربما لن تبرح تنظر اليه بعد فوات عشر سنين أخرى .. وهى اذ ذاك أشد وحدة منها اليوم ! .. و « روجيه » ؟ ماذا كان يفعل « روجيه » ؟ .. لا حق له ، ولا حق لاى انسان فى أن يحكم عليها بأن تشيخ هكذا .. لا حق لاى انسان على الاطلاق ، حتى ولا هى نفسها .. !

وقال « سيمون » فى وداعة :

ــ لا بد انك تجدينني أشجى أنينا ، وأدعى للسخرية ، وأهون منى ليلة امس . أم لعلك تظنين اننى أؤدى امامك حركات فتى هازل يريد ان يستدر عطفك ؟

وكان جالسا قبالتها ، وفى عينيه الصافيتين كدر خفيف ، ووجهه الرقيق الاملس دانيا الى حد يزين لها أن تضع عليه يدها . ولكنها قالت :

ــ لا ، لا ، وانما كنت أرى .. كنت أرى أيضا انك ما تزال على شىء من حداثة السن بالنسبة لهذا .. وانك تلقى من الحب والتدليل ما يزيد عن الحاجة .

ــ لكي يوجد ذلك ، ينبغي أن يوجد اثنان . تعالى ، سوف

تتمشى بضع خطوات فى الخارج ، فالجو بديع جدا الآن .

وخرجا معا . وتأبط ذراعها ، وسارا قليلا ، دون أن ينطقا بكلمة . وأخذ سحر الخريف يصعد الى قلب « بول » ، فى فيض عذب لذيذ . وكانت أوراق الشجر المبللة ، المحمرة ، وقد وطئتها الاقدام فتلاصق بعضها ببعض ، تختلط بالتربة اختلاطا بطيئا . وأحست بنوع من الحنان لهذا الطيف الصامت الذى يتأبط ذراعها . هذا الفتى المجهول قد غدا رفيقا لمدة بضع دقائق ، شخصا تمشى معه فى ممر خال ، فى ختام سنة من السنين . ولقد كانت دائما تشعر بالحنان نحو رفاقها ، سواء رفاق النزهة أو رفاق الحياة ، بعاطفة ملؤها الشكر على كونهم أكبر منها ، وكونهم مختلفين عنها أشد الاختلاف ، قريبين منها أشد القرب فى آن واحد . ولاح لها من جديد وجه « مارك » ، زوجها الذى فارقته وفارقت معه الحياة السهلة ، ووجه رجل آخر أحبها حبا جما .. وأخيرا وجه « روجيه » ، وهو الوجه الوحيد الذى بعثته ذاكرتها حيا متبدل التعبير . أولئك ثلاثة رفاق فى حياة امرأة ، ثلاثة رفاق طيبون . ألم يكن ما أتيح لها حتى ذلك المدى شيئا عظيما ؟

هناك سألها « سيمون » :

— هل أنت حزينة ؟

فالتفتت نحوه ، وابتسمت دون أن تجيب . واستأنفا المشى .

ثم قال « سيمون » فى صوت مكتوم :

— بودى ، بودى أن .. انما أنا لا أعرفك ، ولكن بودى

أن أعتقد أنك سعيدة . فانى أشعر . . اشعر نحوك بالاعجاب .

ولم تعد تصغى اليه . فقد تقدم الوقت ، ولعل «روجيه» قد خاطبها لتتناول معه قهوة ما بعد الغداء ، ففوتت هكذا الفرصة . كان قد أنبأها بعزمه على الرحيل يوم السبت لقضاء عطلة آخر الاسبوع فى الريف ، أفتراها تستطيع أن تتخلص من عملها قبل ذلك الحين ؟ أو ما يزال راغبا فى القيام بتلك الرحلة ؟ أم انها حيال وعد من الوعود التى كان الحب ، أثناء الليل ، ينتزعها منه انتزاعا ؟ فلقد كان فى أحضانها لا يتصور أن يواجه الحياة بدونها ، وانما يبدو له حبهما من زخرة الوضوح بحيث يكفه عن التخبط . على انها منذ يجتاز الباب ، منذ يستنشق فى الشارع نسائم استقلاله العاتية الشذى ، كانت تفقده من جديد ! . . ولم تكثر من الكلام فى طريق العودة ، ثم شكرت « سيمون » على دعوته ، وصرحت له بأنه ليسرها اذا خاطبها تليفونيا ذات يوم . ونظر اليها « سيمون » وهى تغيب عنه ، جامدا . وكان يحس بأنه شديد العناء ، سيىء التصرف .

الفصل الخامس

لقد كانت تلك مفاجأة سارة حقا . واستدار «روجيه» نحو المنضدة المجاورة لرأس السرير فتناول سيجارة . وهنا ندت عن المرأة « الشابة » الى جانبه ضحكة صغيرة .

ـ ان الرجال يدخنون دائما ، بعد هذا .

ولم تكن ملاحظة طريفة ! فلم يعلق عليها « روجيه » ، وانما

مد علبة السجائر الى صاحبته ، فأومأت بالرفض .

ــ « ميزى » ، هل أستطيع أن أسألك سؤالا ؟ ما الذى جرى لك هذا المساء ؟ انك طيلة الشهرين اللذين انقضيا منذ تعارفنا وأنت لا تفارقين ذلك السيد « شيريل » ...

ــ السيد « شيريل » ينفعنى فى مهنتى . والليلة طاب لى أن ألهو قليلا . اتفهم ؟

وسجل فى خاطره انها تنتمى الى هذا الجنس الذى يرفع الكلفة آليا ، بمجرد الاستلقاء على فراش . وأخذ يضحك .

ــ ولماذا أنا ؟ لقد كان فى ذلك الحفل فتيان من أحسن ما ترومين !

ــ ان الشبان ، كما تعلم ، ناس يتكلمون ويتكلمون . ثم انك أنت ، على الاقل ، يظهر عليك انك تحب هذا . وأقسم لك ان هذه الصفة اصبحت نادرة . والنساء يشعرن بذلك . لا تقل لى انك لم تتعود الفوز بالنساء ..

فقال ضاحكا :

ــ ليس بمثل هذه السرعة .

وكانت فى الواقع جميلة . ومما لاريب فيه ان رأسها الضيق كان محشوا بالافكار الصغيرة عن الحياة ، والرجال ، والنساء . فلو ألح فى سؤالها قليلا ، لشرحت له معنى الدنيا. وقد كان بالفعل يود أن يستطلع آراءها. ولكنه كان يحس ـ كما كان يحس فى كل مرة ـ بالشرود والعطف ، مرتاعا من التفكير فى ان هذه الاجسام الحسان ، التى يختلف بعضها عن بعض الى هذا الحد ، والتى يتوق دائما لاكتشافها ، تدور فى الشوارع وفى الحياة ، لا توجهها الا رؤوس صغيرة ، حائرة ،

محدودة الذكاء . وربت على شعرها ، فقالت :

ـ أنت ، أنت لابد ان تكون رقيقا . ان الفحول من امثالك رقاق الطبع دائما .

قال وهو ذاهل عنها :

ـ هذا صحيح .

ومضت هي تقول :

ـ لا أريد أن افارقك . ليتك عرفت كم هو ممل « شيريل » ..

ـ لن أعرف ذلك أبدا .

ـ ما رأيك يا « روجيه » في أن نسافر يومين : السبت والاحد ؟ الا تريد ؟ سوف نذهب الى غرفة كبيرة في الريف ،



ولا نتحرك منها .

ونظر اليها . كانت قد نهضت واتكأت على مرفقها ، ورأى الوريد ينبض فى عنقها ، وكانت تنظر اليه كما راحت تنظر اليه أثناء ذلك الحفل المشهود ، وابتسم .

ـ قل نعم . فى الحال ، أتسمع .. ؟

فردد وهو يجذبها نحوه :

ـ فى الحال .

وعضته فى كتفه وهى تموء كالحيوان ، فخطر له فى ذهول أن تبادل الحب أيضا قد يتم بالبلاهة .

★ ★ ★

قالت « بول » :

ـ خسارة ! مهما يكن من شىء ، أتمنى لك أن تحسن عملك، والا تسرف فى الاسراع بسيارتك . انى أقبلك .

ووضعت سماعة التليفون . لقد ضاعت عطلة نهاية الاسبوع .. فقد كان على « روجيه » أن يسافر الى مدينة « ليل » يوم السبت هذا ـ كما شرح لها ـ لينجز بعض شئونه مع شريكه المقيم هناك . وربما كان ذلك القول صدقا. كانت تفترض دائما أنه الصدق . وطار فكرها فجأة الى الفندق الصغير الذى اعتادا أن ينزلا فيه معا ، والى جذوات النار فى المدافىء بكل مكان ، والى الغرفة التى عبقت برائحة مبيد الحشرات .. وتخيلت ماكان خليقا بأن يجرى فى هذين اليومين : تلك النزهات مع « روجيه » ، وتلك الاحاديث معه فى المساء ، وكيف يستيقظ كل منهما فيجد صاحبه بالقرب

منه ، ويجد الوقت متسعا أمامه ، نهارا بأكمله ، نهارا دافئا ناعما كشاطىء البحر . واستدارت نحو التليفون . كان يمكنها أن تتناول الغداء مع صديقة لها ، أو ان تذهب لتقضى السهرة فى لعب « البريدج » لدى .. ولكنها لم تكن ترغب فى شىء . كانت تخاف من البقاء وحدها يومين . وكانت تكره أيام الاحد كما تتمثل فى حياة امرأة وحيدة : كتب للقراءة فى السرير ، الى ساعة متأخرة ، ثم « سينما » غاصة بالجمهور ، وربما « كوكتيل » مع شخص ما أو عشاء ، وأخيرا عندما تعود ، تعود الى سرير اشعث ، وملؤها هذا الاحساس بأنها لم تعش لحظة واحدة منذ الصباح . لقد قال « روجيه » انه سيخاطبها فى اليوم التالى . وكان رقيق الصوت فى هذه المرة . سوف تنتظر مكالمته قبل أن تخرج . وعلى كل حال ، كان لديها ما ينبغى أن تعنى به من شئون البيت ، من هذه الاشغال النموذجية التى كانت أمها دائما توصيها بأن تتقنها ، هذه الآلاف من صغار الامور النسائية التى كانت تعافها دون أن تدرى لماذا . وكأن الوقت تنين مائع يتحتم عليها أن تبيده. ولكنها تكاد تشعر بشىء من الاسف لانعدام هذا الذوق لديها. ترى هل تبلغ بنا الايام أجلا معلوما ننتقل فيه من طور الهجوم على الحياة الى طور الدفاع عن أنفسنا من شر الحياة، كما تدفع المرأة شر صديقة قد أنست اليها منذ عهد بعيد الا انها لا تحفظ سرا ؟ هل مضى عنها زمان الهجوم وخلفها لزمان الدفاع ؟ لقد خيل اليها أنها تسمع وراءها تنهدا عظيما ، جوقة عظيمة من المنشدين تهتف بها انه : « مضى ! مضى ! »

وفى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك السبت، قررت أن تخاطب

« مدام فان دن بيش » ، حتى اذا كانت قد استبقتها معجزة عن انتجاع اللهو فى « دوفيل » ، تيسر لها أن تقضى فترة العصر فى العمل معها . وكان العمل هو الشىء الوحيد الذى يستطيع أن يغريها . وخطر لها أنها تشبه فى ذلك بعض الرجال الذين يذهبون الى مكاتبهم يوم الاحد لكى يتجنبوا عائلاتهم . وكانت « مدام فان دن بيش » معتكفة على أثر نوبة خفيفة من آلام الكبد ، وكان يبدو عليها الملل بشكل واضح ، فرحبت بالاقتراح وتحمست له . وتزودت « بول » بعينات من جميع الالوان ، وقصدت شارع « كليبر » . وهناك وجدت « مدام فان دن بيش » فى رداء منزلى من الحرير الدمشقى ، وبيدها كوب من مياه « افيان » المعدنية ، وقد احمر وجهها من احتقان طفيف . وبدر لبول أن أبا « سيمون » كان من غير شك بارع الجمال ، فلقد استطاع التعويض عن نقائص هذا الوجه المبتذل .

— كيف حال ولدك ؟ لعلك تعلمين أننا التقينا به فى احدى الامسيات الاخيرة .

ولم تضف أنها تغدت معه فى اليوم السابق ، واندهشت هى نفسها من ذلك التحفظ . واذا بها تبصر أمامها وجه شهيدة معذبة .

— من أين لى أن اعلم ؟ انه لا يكلمنى ، ولا يروى لى شيئا ، فيما عدا حاجته الى النقود ، طبعا ! ثم انه يكثر من الشراب . وكان كذلك أبوه من قبله .

فابتسمت « بول » قائلة :

— لا يبدو عليه أنه من كبار المدمنين .

ولاح لها طيف « سيمون » بوجهه الاملس ، وبشرته المتوردة كانجليزى يتغذى تغذية جيدة .

ـ انه وسيم الطلعة ، أليس كذلك ؟

فانتعشت « مدام فان دن بيش » ، وأخرجت مجلدات عامرة بالصور ، صور « سيمون » فى طفولته ، « سيمون » على صهوة مهر تتدلى حول وجنتيه خصل ملفوفة، «سيمون» مشدوها فى زيه المدرسى ، الخ .. كانت بين يديها مجموعة من نحو ألف صورة له .. وقد أعجبت « بول » فى سريرتها بأنه لم يتحول الى مغرور بغيض ، ولم ينحرف الى معاشرة الذكور .

وزفرت الام المحزونة قائلة :

ـ انما يحل وقت من الاوقات يبتعد فيه الاولاد عن أمهاتهم .

ولم تلبث لحظة حتى استحالت الى تلك المرأة الماجنة التى لا بد كانتها فى شبابها ، وغمزت قائلة :

ـ ينبغى أن نعترف بأنه لا تنقصه الفرص المواتية !

فقالت « بول » فى أدب ، وهى تغير مجرى الكلام :

ـ بالتأكيد . هلا اطلعت يا سيدتى على هذه المنسوجات ؟ ان واحداً منها ..

ـ دعك من التكلف بيننا وسمينى « تيريزا » .

وفاض بها الود ، فقدمت الشاى ، وتبسطت فى الحديث . وكانت « بول » تدير فى خاطرها أن « روجيه » قد ضاجع هذه المرأة قبل عشرين سنة ! .. وراحت تبحث بلا جدوى عن أثر من آثار الفتنة على ذلك الوجه الثقيل . وفى الوقت

نفسه كانت تبذل جهد المستميت لتحصر الحديث فى نطاق العمل الذى تزاوله ، ولكنها كانت ترى ازاءها « تيريزا » تجنح فى اصرار الى الافضاء بأسرارها النسائية ! .. ولقد كان ذلك شأن « بول » دائما . كان يبدو على محياها من سمات الاتزان والعزة ما يستفز جليسها فيغرقها بسيل جارف من الثرثرة .

ولقد بدأت مدام « فان دن بيش » بهذه العبارة :

- انك على الارجح أحدث منى سنا ..

فلم تستطع « بول » أن تكتم ابتسامة أثارتها قولة « على الارجح » هذه .

- .. ولكنك تدركين مبلغ تأثير الاطار فى ..

ولم تعد « بول » تصغى اليها . كانت هذه المرأة تذكرها بشخصية ما . ثم فطنت الى أنها تشبه بكل بساطة تلك الشخصية التى حاكاها « سيمون » بالامس . وهنا أيقنت أنه فتى موهوب ذو حدس مرهف ، وانه على حظ من قسوة ، وان كان يحجب قسوته بحيائه وتهيبه . ماذا قال لها ؟ ((**انى أتهمك بأنك تركت الحب يولى عنك ، وبأنك عشت تتعللين بالتوافه وتذعنين للأوضاع ، انى احكم عليك بالوحدة !**)) . فهل كان يعنيها ؟ هل استشف شيئا من حياتها ؟ وهل تعمد ذلك ؟ كانت تحس بالغضب يجتاحها وهى تستعرض هذه الفكرة .

وفيما هى لاهية عن الثرثرة المتصلة بجوارها ، اذا بها تنتفض عندما يدخل « سيمون » . أما هو فتوقف بمجرد

أن رآها ، وقطب وجهه بعض التقطيب ليخفى سروره الذى مس قلبها .

ــ انى أصل فى الوقت المناسب . سوف أساعدكما .

ــ يا للاسف ! لقد حان موعد انصرافى .

وأحست برغبة جامحة تدفعها الى أن تنطلق ، أن تلوذ بالفرار ، أن تفلت من نظرتى الام والابن ، وأن تختبىء فى بيتها آمنة تطالع كتابا . فى تلك الساعة بعينها ، ألم يكن من المفروض لها أن توجد فى كنف « روجيه » ، تدير المذياع وتطفئه ، وتضحك معه ، أو لعلها ترتعب ، فقد كان يلم به ما يلم بالسائقين من تهور أعمى قد يوردهم موردالتهلكة احيانا .

ونهضت مستأنية .. فقال « سيمون » :

ــ دعينى أرافقك .

وعند الباب ، التفتت نحوه ونظرت اليه للمرة الاولى منذ قدومه . كانت على وجهه علائم الاعياء ، فلم تستطع أن تمتنع عن تنبيهه الى العناية بصحته . فقال :

ــ هذا من أثر الطقس . هل تسمحين بأن أرافقك حتى أسفل السلم ؟

فهزت كتفيها ، وضمهما السلم . كان يسير وراءها ، دون أن ينطق بكلمة . وعندما بلغت الطابق الاخير ، توقف ، واذ لم تعد تسمع وقع خطاه ، استدارت فى حركة آلية . كان معتمدا على السياج ..

ــ هل عاودت الصعود من جديد ؟

وانطفأ النور ، وأمسى السلم الكبير لا يضيئه الا بصيص خافت يصدر عن نافذة . وبعينيها بحثت عن زر الاستصباح .

فقال « سيمون » :

ـ انه وراءك .

ونزل عن الدرجة الاخيرة وتقدم نحوها . وظنت « بول » فى ضيق : « انه سوف ينقض على » . ومد ذراعا الى يسار رأسها ، فأضاء النور ، ثم وضع ذراعه اليمنى من الجهة الاخرى . وظلت فى مكانها لا تستطيع فكاكا .. وانما قالت فى هدوء جم :

ـ دعنى أمر .



فلم يجب ، بل انحنى ووضع رأسه على كتفها ، فى رفق . وسمعت قلبه يخفق خفقات كبيرة ، ثم أحست فجأة بالفتنة تسرى فى نفسها :

ـ دعنى يا « سيمون » .. انك تضايقنى .

ولكنه لم يتحرك . لم يزد على أن تمتم بصوت خفيض مرددا اسمها مرتين « بول ، بول » . ومن وراء عنقه ، كانت ترى هيكل السلم وقد جثم فى سكون ، مكتئبا ، متشامخا ..

قالت هى أيضا بصوت خفيض :

ـ يا صغيرى « سيمون » ، خل سبيلى .

فتنحى عنها ، وابتسمت له برهة قبل أن تمضى .

الفصل السادس

• **عندما** استيقظت، يوم الاحد، وجدت رسالة تحت بابها ، بطاقة كان أهل الجيل الماضى يطلقون عليها اسما شاعريا فيدعونها « زرقة » (بضم الزاى) . ولقد وجدتها شاعرية حقا اذ أضحت الشمس ـ وقد عادت الى الظهور فى سماء نوفمبر الصافية الرائقة ـ تملأ غرفتها بظلال وأنوار دافئة .. وكانت الرسالة تقول : **« هناك حفلة موسيقية بديعة جدا فى الساعة السادسة ، بقاعة « بلييل » . هل تحبين «برامس» ؟ انى أعتذر عن الامس »** . هكذا كتب « سيمون » . وابتسمت . ابتسمت لورود الجملة الثانية : « هل تحبين برامس ؟ » . انه سؤال من ذلك النوع الذى كان يوجهه اليها الفتيان أيام كانت فى السابعة عشرة من العمر . ولقد أعيد بلا شك القاء تلك الاسئلة عليها فيما بعد ، ولكن دون أن يصغى السائلون الى الجواب . وأما الآن ، فى هذه البيئة ، وفى هذه المرحلة من حياتها ، فمن ذا الذى كان يصغى ، ولمن ؟ ثم بغض النظر عن ذلك ، هل كانت تحب «برامس» ؟

فتحت جهاز « البك ــ أب » ، ونقبت بين ما تقتنيه من الاسطوانات ، فوجدت فى ظهر احدى افتتاحيات « فاجنر » ــ التى تحفظها عن ظهر قلب ــ « كونسرتو » من موسيقى «برامس» لم يسبق أن استمعت اليه قط . كان « روجيه » يحب « فاجنر » ، ويقول عنه : « انه جميل ، انه يثير ضجيجا ، وهذه هى الموسيقى ! » وأدارت « الكونسرتو » ، فوجدت مطلعه عاطفيا ، ثم نسيت أن تصغى الى المقطوعة حتى آخرها . وفطنت الى انصرافها عن الموسيقى عندما كف العزف ، ولامت نفسها على ذلك . انها الآن تحتاج الى ستة أيام لكى تفرغ من مطالعة كتاب .. انها تتيه عن الصفحة التى قرأتها .. وتنسى الموسيقى .. لم يعد انتباهها يتركز الا على عينات من النسيج ، وعلى رجل غائب عنها دائما . لقد كانت تضل بين الاشياء ، وتضل عن نفسها ، وهيهات أن تثوب الى أمر . « هل تحبين برامس ؟ » .. وعبرت فى لحظة أمام نافذتها المفتوحة ، فتلقت الشمس فى عينيها ، وظلت مبهورة بها . هناك طرقتها هذه الجملة القصيرة : « هل تحبين برامس ؟ » وكأنها تكشف لها منطقة عظيمة من نفسها شملها النسيان .. تكشف لها كل ما نسيته ، كل الاسئلة التى تعمدت أن تتجنب مواجهتها . « هل تحبين برامس ؟ » .. أو كانت تحب بعد شيئا آخر غير نفسها ، وغير وجودها الخاص ؟ أجل ، كانت تقول انها تحب « ستندال » ، كانت « تعلم » انها تحب هذا الكاتب . وتلك هى العلة : كان « علمها » بأنها تحبه ، يغنيها عن مطالعته .. وربما كانت تعلم ــ مجرد العلم أيضا ــ انها تحب

« روجيه » ، فتستغنى بهذا العلم عن الحب نفسه . ورب شيء اكتسبته النفس ، واعتادته ، يطيب لها .. كما يطيب لنا أن نعرف طريقنا فى الحياة مسترشدين بعلامات سبق أن ثبتناها فى مرحلة منه ..

.. وتاقت الى محادثة انسان ما ، كما كانت تتوق الى ذلك فى سن العشرين ! .. ففزعت الى « سيمون » . ولم تكن تدرى وهى ترفع السماعة ماذا تقول له . ربما تقول : « لا أعلم هل أنا أحب برامس ، لا أظن . » **ولم تكن تدرى أذاهبة هى الى الحفلة الموسيقية أم لا . فقد يتوقف رفضها أو قبولها على ما يخاطبها به ، أو على نبرة صوته .. كانت تتردد ، وتجد لذة فى هذا التردد .** ولكن « سيمون » كان قد خرج ليتغدى فى الريف ، وسوف يعود ليغير ملابسه فى الساعة الخامسة . ووضعت السماعة . وقبل أن تضعها كانت قد قررت أن تذهب الى الحفلة . ومضت تقول لنفسها : « ليس سيمون هو الذى أعود الى لقياه ، وانما هى الموسيقى . ولعلى أواظب على الذهاب الى هذه الحفلات كل يوم أحد اذا لم يكن الجو بغيضا بعد الظهر ، فذلك خير ما تشغل به امرأة وحيدة بعض فراغها . » .. وفى الوقت نفسه ، كانت تأسف لان اليوم يوم أحد ، لا تملك فيه الانطلاق فى الحال الى متجر مفتوح لتشترى مقطوعات « موزار » التى تحبها ، وبعض مقطوعات « برامس » . وخشيت أن يمسك « سيمون » بيدها أثناء عزف الموسيقى ، وزاد من خشيتها أنها كانت تتوقع ذلك ، وان حدوث ما سبق أن تخيلته أمر كان يملؤها دائما بضيق لا يطاق . لقد أحبت « روجيه »

من أجل هذا أيضا . فانه دائما يجانب الشىء المتوقع ، وينشز بعض النشاز فى جميع الاوضاع المكتسبة !

وفى الساعة السادسة ، وجدت نفسها وسط لجة متحركة من البشر ، وكادت تفقد « سيمون » ، الذى مد لها تذكرتها دون أن ينطق بكلمة . ثم صعدا درجات السلم فى اندفاع شديد بين هرج طائفة من حارسات القاعة . وكانت القاعة شاسعة ومظلمة ، وقد بدأت الفرقة بعزف بعض الانغام المتنافرة الثاقبة ، ـ على سبيل المقدمة ـ كأنما تريد بهذا التمهيد أن تزيد من اعجاب الجمهور بعد ذلك بمعجزة الاتساق الموسيقى . والتفتت « بول » نحو جارها :

ـ لم أكن أدرى هل أنا أحب « برامس » .

فقال « سيمون » :

ـ واما انا ، فلم اكن ادرى هل انت قادمة .. وأؤكد لك أنه سيان عندى أتحبين « برامس » أم لا .

ـ وكيف وجدت الريف ؟

فرمقها بنظرة ملؤها الدهشة .. وقالت بول :

ـ لقد اتصلت ببيتك لكى أقول لك اننى .. اننى أقبل الدعوة .

قال « سيمون » :

ـ ان خوفى من أن يكون جوابك بالنفى ، أو ألا أتلقى منك جوابا على الاطلاق ، هو الذى دفعنى الى الخروج .

ـ هل كان الريف جميلا ؟ الى أى ناحية ذهبت ؟

وشعرت بلذة حزينة اذ تخيلت رابية « هودان » فى ضوء الاصيل ، وودت لو يحدثها « سيمون » عنها . وافتقدت

عطلتها المنشودة التى كانت خليقة بأن تفضى بها مع «روجيه» ـ فى هذه الآونة بعينها ـ الى « سيبتوى » ، حيث يتمشيان فى نفس هذا الطريق الذى يذكره « سيمون » ، تحت الاشجار الصهباء .

ـ لقد تنقلت من هنا لهناك ، دون أن التفت الى أسماء القرى . ولكن ، ها هم يتأهبون للعزف .

وكان الجمهور يصفق ، وقائد الفرقة يحيى .. ثم رفع عصاه ، فاستوى كل منهما فى كرسيه ، كما استوى فى نفس اللحظة ألفا شخص ! وكانت القطعة « كونسرتو » ، بدا « لسيمون » انه يعرفه من قبل ، « كونسرتو » يتميز بطابع مؤثر الى حد ما ، عنيف التأثير فى بعض المواضع . وكان يحس بمرفق « بول » يلامس مرفقه ، وراح كلما انطلقت الفرقة ينطلق معها . غير أنه كان ـ اذا تهادى اللحن وخفت العزف ـ يعود الى الشعور بسعال جيرانه ، وبهيئة جمجمة واحد من المستمعين كان يجلس أمامه على بعد صفين منه ، والى الشعور فوق كل شىء بما يكظم من غضب . **ذلك انه خلال نزهته فى الريف ، قابل « روجيه » ، « روجيه » بصحبة فتاة !** .. ولقد نهض روجيه عندئذ فحيا « سيمون » ، دون أن يقدمه لها ، وقال :

ـ يظهر لى أننا نلتقى فى كل وقت ؟

وتحت وقع المفاجأة ، لم يجب « سيمون » بشىء . وكانت نظرة « روجيه » تهدده ، وتأمره بأن يكتم قصة هذا اللقاء !.. لم تكن ـ ولله الحمد ـ نظرة التواطؤ الذى قد ينشأ بين ندين كريمين ، وانما كانت نظرة حاقد جن جنونه . ولم يكن سيمون



بالذى يخشى بأس «روجيه» ، بل كان يخشى أن يصبح هو السبب فى تنغيص « بو ل» من جراء فعلة صاحبها ذاك .. كلا ، لن يلحق شر بهذه المرأة من جرائه ، أقسم على ذلك لنفسه .. وللمرة الاولى فى حياته أحس برغبة فى أن يحول بين انسان وبين الشقاء . واذا به ، وهو الفتى الذى كان سرعان ما يضيق بخليلاته بل وينفر من أحاديثهن العاطفية ، ومن أسرارهن ، ومن عزمهن المعقود على أن يشرن فيه — بأى ثمن يبذلنه — شهامة الرجل الخليق بحمايتهن .. «سيمون» هذا الذى طالما اعتاد الفرار، أمسى يتلهف اذ ذاك على العودة الى باريس، ليكمن منتظرا ما عسى أن يسفر عنه الموقف ! ولكن ماذا يجدى انتظاره ؟ ماذا تراه يتوقع ؟ أيتوقع أن تفهم هذه المرأة انها تحب وغدا خاملا ؟ ذلك آخر ما قديحدث

فى الدنيا .. لا بد انها حزينة ، لا بد انها تجتر فى رأسها موقف « روجيه » منها ، ولعلها تكتشف ما فيه من ثغرات . وانطلق كمان منفرد يحلق فوق الجوقة ، ويخفق خفقات يائس مفجوع ممزق ، ثم يهوى فيغرق على الفور فى لجة من الانغام الرخيمة الدافقة أقبلت تهزج بها الآلات الاخرى معا .

وكاد « سيمون » يستدير ليحتضن « بول » ويقبلها .. نعم ، يقبلها ! وتخيل أنه ينحنى عليها ، وان فمه يمس فمها ، وانها تضع يديها حول عنقه وتطوقه .. وأغمض عينيه .

وحسبت « بول » ـ اذ رأت هذا التعبير المرتسم على وجهه ـ انه لا بد من المولعين حقا بالموسيقى . ولكنها لم تلبث حتى أحست بيد مرتعشة تلتمس يدها ، فأفلتت منها ، نافدة الصبر .

وبعد انتهاء الحفلة ، اصطحبها سيمون لتناول «كوكتيل» ، أسفر بالنسبة اليها عن كوب من عصير البرتقال ، وبالنسبة اليه عن كأسين من « الدراى » . فتساءلت : أتصدق فيه مخاوف أمه « مدام فان دن بيش » ؟ واما هو فقد انشأ يحدثها فى الموسيقى ، وقد برقت عيناه ، واضطربت بالتلويح يداه .. وظلت هى تصغى اليه بأذن شاردة . عسى «روجيه» أن يكون قد دبر أموره فتمكن من أن يغادر « ليل » مبكرا ليرجع فى موعد العشاء . وفوق ذلك ، كان الناس ينظرون اليهما . فلقد كان « سيمون » خلاب الصورة ، أو كان بكل بساطة فتى فى مقتبل الشباب ، وهى بجواره امرأة يولى عنها الشباب .. فما بالهما يخرجان على الملأ سويا ؟

ـ ألا تصغين لى ؟

ـ بلى . ولـكن يجب أن ننصرف . انى انتظر فى البيت مكالمة تليفونية ، ومن ناحية أخـرى ، أرى الناس يطيلون النظر الينا هنا !

فقال « سيمون » ، معجبا بها :

ـ لا بد أن تكونى قد اعتدت من الناس ذلك .

ومالت به وطأة الموسيقى والخمر معا الى الشعور بانه قد أصبح عاشقا متيما .

وطفقت تضحك ، فلقد كان أحيانا مؤثرا الى أبعد الحدود.

ـ اطلب الحساب يا « سيمون » .

فطلب الحساب ايذانا بانصرافهما ، على كره منه شديد ، لحظته فاستأثر بانتباهها ، واذا هى تنظر اليه مليا ، لاول مرة بلا شك أثناء ذلك المساء . ترى هل أفضى به الامر فى رفق الى الوقوع فى حبها ؟ .. ترى هل أخذ لهوه اليسـير ينقلب عليه جـدا وعسرا ؟ لقد كانت تظن انه مجـرد فتى متعطش للمغامرات ، يسعى الى المتعة فحسب ، ولكنه قد يكون فى حقيقته غـير ذلك : فتى أبسـط نفسـا ، وأرق احساسا ، وأقل غرورا . **ومن العجيب أن تكون آفته بالنسبة اليها هى وسامته . لقد كانت تجده آية فى الجمال ، يحول جماله دون صدقه .**

واذا كان الامر كذلك ، فانها لتخطىء اذ تقابله ، ويجب عليها أن تعدل عن صحبته . وكان قد نادى الخادم ، واخـذ يدير كأسه بين يديه ، دون أن ينطق بكلمة . كان قد صمت صمتا فجائيا . فوضعت يدها على يده ، قائلة :

ـ لا تؤاخذنى يا « سيمون » ، فانى مستعجلة الى حد

ما . لا بد أن يكون « روجيه » فى انتظارى الآن .

ولقد سألها فى أمسيتهما الاولى تلك، وهما فى المطعم المسمى « عند ريجين » : « هل تحبين روجيه ؟ » ، فبماذا أجابته ؟ لم تعد تتذكر جوابها . وعلى كل حال ، كان من الحق أن يعلم .

هناك قال لها : « آه ! نعم .. « روجيه » .. ذلك الرجل .. ذلك الالمعى .. »

فأوقفته قائلة :

ـ انى أحبه .

وأحست بالخجل يضرج وجهها ، وبدا لها أن صوتها كان صوتا مسرحيا .

ـ وهو ؟

ـ وهو أيضا .

ـ طبعا . ليس فى الامكان أبدع مما كان .

فقالت فى لين :

ـ لا تتكلف فلسفة الشك ، فهى لا تناسب عمرك . عليك أن تعيش فى ثقة الشباب ، عليك ..

ولم يدعها تسترسل ، بل أمسك بكتفيها وأخذ يهزها .

ـ لا تهزئى بى ، وأقلعى عن مخاطبتى بهذا الاسلوب ..

ودار فى خلد « بول » وهى تحاول الفكاك من بين يديه : « شد ما أنسى أنه رجل ! انه فى هذه اللحظة رجل برأسه هذا ، رجل يأبى الاهانة . انه ليس فى الخامسة عشرة ، بل فى الخامسة والعشرين .. هذا صحيح ! »

وقالت له فى رقة :

ـ أنا لا أهزأ بك ، وانما اهزأ بما تتكلفـه من المواقف . فأنت تمثل ..

وقد كان خلاها ، وبدا عليه الاعياء . قال :

ـ صحيح انني أمثل . أمامك مثلت دور المحامى الشاب اللامع ، ودور العاشق الولهان ، ودور الولد المدلل ، وما لا يدريه الا علام الغيوب .. ولـكنني منذ عرفتك أصبحت أؤدى لك جميع أدوارى فى الحياة . ألا تظنين أن هذا هو الحب ؟

قالت وهى تبتسم :

ـ هذا تعريف للحب لا بأس به .

وصمتا بضع لحظات وقد تملكهما الحرج . ثم قال :

ـ بودى لو مثلت دور عاشق مفتون .

ـ **لقد قلت لك اننى أحب « روجيه » .**

ـ **وأنا أيضا أحب امى ، واحب مربيتى العجوز ، واحب سيارتى ..**

فقاطعته تقول :

ـ لست أرى وجه الصلة .

وانتابتها الرغبـة فى الانصراف . فهـذا الفتى الـكاسر المستشرى ، ان هو الا صغير يافع ، ما الذى يسـتطيع ان يفهمه من قصتها ، من قصتهما التى نسجتها خمس سنين من اللذة والشكوك ، ومن حميم التعاطف وتباريح اللوعة ؟ لن يستطيع امرؤ ان يفصلها عن « روجيه » . واضمرت له عرفانا بالجميل اذ أوحى اليها شبابه الغض بهـذا اليقين ،

بل وأضمرت له حنانا . وكادت تنوء من شـــدة ما دار فى نفسها ، فاعتمدت على المائدة .

وقال « سيمون » :

ـ انك تحبين « روجيه » ، ولكنك وحيدة . انك وحيدة يوم العطلة ، وحيدة عندما تتناولين عشاءك ، وحيدة ـ على الارجح ـ عندما .. أنت تنامين وحدك فى أغلب الاحيان . ولو كنت أنا ، لنمت ملتصقا بك ، لاحتضنتك بين ذراعى طول الليل ، ولقبلتك وأنت فى سباتك . أنا ما زلت أستطيع ان أحب . أما هو ، فلم يعد يستطيع . وانك لتعلمين ذلك ..

فقالت وهى تنهض من مجلسها :

ـ ليس لك الحق فى ..

ـ بل لى الحق فى أن أتكلم ، ولى الحق فى أن أستجيب لحبك ، وفى أن آخذك منه ، اذا أمكننى !

ولكنها كانت قد خرجت قبل أن يكمل عبارته . فنهض ، ثم جلس مرة أخرى ، ورأسه بين كفيه . ولازمته هذه الفكرة : « لا بد لى منها .. لا بد لى منها .. والا فسوف أشقى . »

الفصل السابع

« ميزى » هذه ـ وكانت قد باحت له بأن اسمها لم يكن فى الواقع سوى « مارسيل » ، وهو اسم مبتذل لا يقر عقل سليم قط انه يلائم مواهبها التى ترشحها لان تصبح نجما

سينمائيا – « ميزى » هذه قد برت بوعدها له فمنذ أن رقدت لم تحاول أن تنهض بعد ذلك ، على نقيض فئة معينة من الخلق يعرفها « روجيه » ، يوجد بالنسبة اليها موعد « للكوكتيل » ، وموعد للغداء ، وموعد للعشاء ، وموعد للشاى .. الى آخر تلك الفرص الذهبية التى تقتنصها المرأة لاستبدال ثيابها وتجديد زينتها . لقد قضيا يومين دون أن يبرحا غرفتهما سوى مرة واحدة ، وهى بطبيعة الحال تلك المرة التى صادف خلالها ذلك الفتى الرقيق الرشيق ، ابن « تيريزا » العزيزة . ولم يكن روجيه – دون شك – يتعرض لخطر مقابلة « بول » ولكنه ظل فريسة لقلق لا يستبينه . ان تذرعه بالسفر الى « ليل » لم يكن علة مناسبة ، لا لانه يتورع عن خيانة « بول » ، أو الكذب عليها ، وانما لانه كان حريصا على الا تؤرخ مغامراته بتاريخ ، أو تحدد بمكان ، اذ ما الذى عساه أن يحدث لو قال : « لقد التقيت بصاحبك – بطل تلك الليلة – وهو يتغدى يوم الاحد فى هودان » ؟ .. لقد تخيل « بول » عندما تقرعها هذه العبارة فلا تنطق بكلمة ، وربما حولت بصرها عنه برهة وجيزة .. « بول » فى عذابها .. انها صورة أصبحت الآن عتيقة ، صورة طردها عنه مرارا ومرارا حتى باتت تثير فيه الخجل ، والخجل أيضا من اشتياقه الى الالمام بها عما قليل ، بعد أن يعيد « ميزى – مارسيل » ! .. **ولكنها لن تقف على أمره** ، اذ لا بد انها قد آثرت الراحة هذين اليومين أثناء غيابه ، بعد أن أرهقها بكثرة الخروج معه .. ولعلها قد تسلت حينا بلعب « البريدج » مع بعض

أصدقائها ، وحينا بتدبير المنزل ، وحينا بقراءة ذلك الكتاب الجديد . . **وتساءل فجأة : لماذا هو يلح فى التماس برنامج ليوم الاحد هذا فى حياة « بول » ؟**

وقال صوت بالقرب منه :

ـ انك تقود جيدا .

ورأته « ميزى » قد انتفض !

ـ أو تظنين ؟

ـ انك فوق ذلك تجيد كل ما تفعله .

ولقد أردفت بهذه الجملة وهى تلين على مقعد العربة . فاعترته رغبة فى أن يقول لها أن تنسى .. أن تنسى لحظة جسمها الذى تعززه ، وشهواتها التى أشبعتها . وصدرت عنها ضحكة سقيمة ، أو متساقمة ، ثم تناولت يده فوضعتها على ساقها . كانت كتلة كثيفة دافئة تحت أصابعه ، وابتسم . لقد كانت حمقاء ، ثرثارة ، هازلة . ومن فرط استهزائها بالغرام ، كانت تضفى على الهوى لذعا طريفا . وكان أسلوبها فى اعدام أية نزعة فى نفسه الى الرقة الحانية ، أو الى الزمالة المتبادلة ، أو الى شىء من الجد ، أسلوبا يزيدها اغراء وفتكا . واعترف فى سريرته بأنها « شىء صغير قذر ، رائع لا سبيل الى الاتصال به ، مغرور ، سوقى ، بيد أنه يتقن لى قضاء الوطر . » وأخذ يقهقه . ولم تسأله لماذا يقهقه ، وانما مدت يدها نحو المذياع . وتبع « روجيه » حركتها بعينيه .. ما الذى قالته « بول » ذات ليلة ، منذ عهد غير بعيد ؟ ما هذا الذى قالته بشأن المذياع وسهراتهما .. ؟ انه لم يعد يذكر . وكانت تذاع حفلة موسيقية ، فقاطعتها ، ثم عادت اليها

بعد أن استعرضت محطات أخرى ولم تجد خيرا منها . وكانت الموسيقى لـ « برامس » ، كما قال المذيع بصوت مرتعش ، ثم دوى التصفيق . فقال :

ـ عندما كنت فى الثامنة من عمرى ، كانت أمنيتى أن أصبح قائد فرقة موسيقية . وأنت ؟

قالت :

ـ أما أنا فكنت أريد أن اشتغل بالسينما ، ولسوف اصل الى ذلك .

فأجابها بأنه يظن ذلك ممكنا .. وانزلها أخيرا أمام بابها . فتعلقت بسترته وراحت تقول :

ـ غدا سأتناول العشاء مع صاحبى الكريه . ولكنى أريد لقاء حبيبى « روجيه » الصغير ، قريبا جدا جدا . سوف أخاطبك حالما أجد لحظة فراغ .

وابتسم ، مغتبطا الى حد ما بأن يسند اليه دور الفتى العاشق المستخفى ، لا سيما عن رجل آخر يناهز نفس سنه .

وأردفت قائلة :

ـ وأنت ؟ أتستطيع ؟ لقد قيل لى انك لست رجلا خاليا ..

فقال وعلى وجهه قليل من العبوس :

ـ انني رجل خال .

وما كان لها عليه أن يحدثها عن « بول » ! .. وخطت خطوة واسعة أصعدتها على الرصيف ، ثم لوحت بيدها من وراء الباب الخارجى لدارها ، واستأنف هو سيره . كانت عبارته الأخيرة تثير فيه شيئا من الضيق . « انني رجل خال » . معنى ذلك : « رجل حر لا يتقيد بمسئولية » .

واستعجل سيارته ، فلقد كان يريد أن يلاقى « بول » بأسرع ما يمكن . انها وحدها التى تستطيع أن تطمئنه ، ولسوف يجد منها ما يطمئنه ! . .

* * *

• **لا بد** أنها عادت قبيل وصوله توا ، لانها لم تزل مرتدية معطفها . وكانت شاحبة الوجه ، وما كاد يدخل حتى ارتمت عليه ، وظل رأسها على كتفه ، بلا حـــراك . فضم حولهـا ذراعيه ، وأراح خده على شعرها ، وانتظر منها أن تتكلم . **لقد أحسن بالعودة مبكرا ، فانها كانت فى حاجة اليه ، ولا شك فى أن حادثا ما قد حدث لها** . واذ آنس فى نفسه انه قد حدس ذلك ، شعر بحنانه نحوها ينمو ويعظم . كان يحميها . أجل ، لقد كانت قوية ، ومستقلة ، وذكية ، ولكنها ربما كانت أشد أنوثة من أى امرأة عرفها على الاطـلاق ـ وهو ادرى بذلك ـ ومن ثم لم يكن لها غناء عنه . ثم انسلت فى رقة من بين ذراعيه .

ـ هل كانت رحلتك موفقة ؟ وكيف وجدت « ليل » ؟

فرمقها بنظرة . كلا ، يقينا ، لم تكن تسىء الظن بشىء . لم تكن من جنس أولئك النساء اللواتى ينصبن الشراك على هذا النحو . ورفع حاجبيه مجيبا :

ـ لا بأس . ولكن أنت ، ما خطبك ؟

فقالت :

ـ لا شىء .

وأشاحت عنه . وأما هو فلم يلح فى سؤالها ، فهو واثق

من انها سوف تشرح له الامر فيما بعد .

ـ ماذا فعلت هنا ؟

ـ أمس ، استأنفت العمل . واليوم ، ذهبت الى حفلة موسيقية ، بقاعة « بلييل » .

قال وهو يبتسم :

ـ هل تحبين « برامس » ؟

وكانت تدير له ظهرها ، فالتوت تقول له فى صورة فجائية ، دفعته الى أن يتراجع خطوة الى الوراء :

ـ ما بالك تسألنى هذا السؤال ؟

ـ لقد سمعت جزءا من الحفلة مذاعا ، وانا فى طريق العودة .

فقالت مستدركة :

ـ نعم ، بكل تأكيد ، كانت الحفلة مذاعة ، هذا صحيح .. ولكنك تدهشنى ، فما كنت أتوقع فيك هذه الناحية الموسيقية ..

ـ وفيك أنت أيضا . فماذا جرى لك ؟ لقد كنت أتمثلك تلعبين « البريدج » عند آل « داريه » ، أو ..

وكانت قد أوقدت مصابيح غرفة الاستقبال الصغيرة . وراحت تخلع معطفها فى حركة بادية الاعياء .

ـ لقد دعانى « فان دن بيش » الصغير الى سماع الموسيقى ، ولم يكن عندى ما يشغلنى ، وحاولت أن أتذكر هل أنا أحب « برامس » .. هل تعتقد ذلك ؟ .. ما عدت أذكر هل أنا أحب « برامس » ..

وطفقت تضحك ضحكة خفيفة فى أولها ، لم تلبث حتى

تحولت شيئا فشيئا الى قهقهة عالية . وانطلقت دوامة فى رأس « روجيه » . سيمون فان دن بيش ؟ هـل ترى لم ينبئها الفتى بلقائهما .. في « هودان » ؟ وقبل كل شىء لماذا تسترسل هكذا فى الضحك ؟ .. وقال لها :

ـ « بول » ، اهدئى . وقبل كل شىء ، ماذا كنت تفعلين مع هذا الولد الافاق ؟

قالت ، بين ضحكتين :

ـ كنت أصغى الى « برامس » ..

ـ دعك من الحديث عن « برامس » ..

ـ انما هو جوهر الموضوع ..

فأمسك بها من كتفيها . وكانت عيناها قد اغرورقتابالدمع من فرط ما ضحكت . وقال لها :

ـ « بول » ، حبيبتى « بول » .. ماذا روى لك هـذا الشخص ؟ وأولا ، ما الذى يريده منك ؟

لقد كان هائج الغضب ، يحس انه فقد مكانه ، وتخلف عن الركب ، وأصبح هزأة . ومضى يقول :

ـ بطبيعة الحال ، انه فى الخامسة والعشرين من العمر .

فقالت فى رقة :

ـ تلك فى نظرى نقيصة .

وهنا استعادها بين ذراعيه قائلا :

ـ « بول » ، ان ثقتى بك وطيدة . وطيدة لا تتزعزع ! ولا



أطيق أن أتصور ان تافها من هذا القبيل يستطيع أن يروقك .

وجعل يضمها اليه . واذا به يتخيل فجأة صورة «بول» وهى تمد يدها نحو رجل آخر، صورة « بول » وهى تقبل رجلا آخر تمنحه حنانها وتؤثره بعنايتها ، لقد كان يتعذب .

ورددت « بول » فى نفسها، دون أسى : ما أشد غفلة الرجال! « انثقتى بك وطيدة» ، وطيدة الى درجة اننى استطيع أن أخونك، وأن أتركك وحيدة ، وان يكون عكس ذلك مستحيل الوقوع . انه لشىء رائع !

وقالت :

— هو لطيف وتافه . هذا كل ما هناك . أين تريد ان نتعشى ؟

الفصل الثامن

• **كانت** رسالة « سيمون » تقول :

« انى أسألك المغفرة . فلم يكن يحق لى ، فى الواقع ، أن أقول لك كل هذا . لقد كنت تحت وطأة الغيرة ، وأحسب أن المرء لا يجوز له أن يغار الا على ما يملك . ومهما يكن من أمر ، فانه ليظهر لى فى وضوح أننى كنت اضايقك قبل كل شىء . ولسوف أنزاح عنك ، اذ أرحل الى الاقاليم مع أستاذى العزيز ، لندرس احدى الدعاوى . وسننزل فى بيت ريفى عتيق ، ضيفين على بعض أصدقائه . وأتخيل هناك رائحة العشب تفوح من الفراش ، والنار توقد فى كل حجرة ، والطيور تغرد أمام نافذتى فى الصباح . ولكنى أعلم أننى — فى هذه المرة — لن أستطيع تمثيل دور الفتى الحالم بالارض الطيبة ، المفتون بجمال الريف . فلسوف تنامين بجوارى ، سوف أعتقد أنك فى متناول يدى ، تسطع على وجهك الجذوة الموقدة ، وسوف أهم عشر مرات بالعودة قبل انقضاء العمل . لا تعتقدى — ولو كنت لا تريدين لقائى الى ابد الدهر — لا تعتقدى أننى لست أحبك .

« سيمونك » . »

ولبثت الرسالة حائرة بين أصابع « بول » . وأخيرا انزلقت على الفراش ، ثم على السجادة . وأراحت « بول » رأسها على وسادتها ، وأغمضت عينيها . لا شك فى أنه كان يحبها .. لقد كانت هامدة العزم فى هذا الصباح ، بعد ليلة

شابها الارق . أو كان مصدر عنائها تلك العبارة القصيرة التى أفلتت البارحة من « روجيه » ، عندما راحت تستجوبه عن طريق عودته ؟ .. تلك العبارة القصيرة التى لم تفطن اليها فى أول الامر ، ولكنه ارتطم بها ، وانخفض صوته تدريجيا وهو يفوه بألفاظها حتى انتهى الى تمتمة :

ـ أجل ، ان العودة الى العاصمة يوم الاحد عمل شاق دائما .. ولكن النفق المخصص للسيارات فى مدخل المدينة من تلك الجهة ، طريق سريع فى الواقع ، ولو كان غاصا ..

والحق أنها ما كانت لتلاحظ شيئا لو لم يغير نبرة صوته. كانت خليقة بأن تتخيل فى الحال ـ تلبية لهذا الاحساس الذى تأصل فيها منذ سنتين ، والذى يدفعها الى اغداق الحماية على روجيه ـ كانت خليقة بأن تتخيل نفقا جديدا للسيارات تجاه « ليل » ، نفقا رائعا شقته معجزة . ولكن روجيه توقف ، ولم تكن قد نظرت اليه ، وتحتم عليها هى ـ بعد انقضاء خمس عشرة ثانية ـ ان تستأنف الحوار من طرفه المقطوع ، وأن تعيده الى مجرى حديث طبيعى بين شخصين هادئين . واتصل حديثهما على هذا النحو حتى فرغا من العشاء ، غير ان « بول » كانت ترى أن اعياءها ، وهبوط الهمة الذى كانت تشعر به فوق شعورها بكل غيرة وكل تحرق الى الاستطلاع ، لن يفارقاها بعد ذلك أبدا ! .. وكان نصب عينيها هذا الوجه الذى ألفته أشد الالفة وأحبته أشد الحب ، مائلا عليها يحاول أن يعرف هل فهمت خبيئته ، هذا الوجه الذى كان يبحث عن الالم مرتسما على وجهها هى ، وكأنه ازاءها جلاد أوتى من القسوة ما لا يطاق . اذ

ذاك انتهى بها بؤسها الى هـذا الخاطر : ((**أفلا يكفيه أنه يسومنى العذاب ؟ أولايستطيع – على الاقل – أن يقف اهتمامه عند هذا الحد ، وأن تستوى لديه الامور بعد أن يفعل فعلته ؟**)) .. وبدا لها انها لن تتمكن هناك قط من النهوض عن كرسيها ومن اجتياز قاعة المطعم بما كان ينتظره منها من طلاقة ورشاقة ، بل ولن تتمكن من أن تقول له « الى اللقاء » حين تودعه على باب دارها . ولقد كانت تود لو تستطيع القيام بشىء آخر ، كانت تود لو تستطيع أن تشتمه ، وأن تقذف راسه بكأسها ، وأن تخرج عن طورها ، وعن كل مايخلع عليها سمة الوقار ، وكل ما يميزها من شرذمة هؤلاء النسوة الساقطات اللواتى كان يتطلع اليهن . كانت تود لو انها اصبحت واحدة منهن . فقد استنفد صبرها بتحدثه اليها عنهن ، وتصوير ما يمثلنه بالنسبة لحسه ، معترفا بأن هذه هى طبيعته ، مصرحا بأنه لا يريد أن يكتم عنها الواقع . ولكنها كانت تتساءل : هل الامانة – لون الامانة الوحيد الممكن فى هذه الحياة المستعصية – شىء سوى أن يحب المرء شخصا فيغمره بما يكفى من الحب لاسعاده .. ولو اقتضته الحاجة احيانا أن يتخلى عن تسلياته الاثيرة ؟

وكانت رسالة « سيمون » لا تزال على السجادة ، فوطئتها قدمها وهى تنهض . وهنا التقطتها ، وأعادت قراءتها . ثم فتحت درج منضدتها فتناولت قلما وورقا ، وكتبت الجواب .

* * *

وكان « سيمون » قد بقى وحيدا فى غرفة الاستقبال ،


« فوطئت اقدمها الرسالة ..

زاهدا فى الاختلاط بالجمهور الذى راح ـ عقب انتهاء الدعوى ـ يزجى الثناء على الاستاذ الكبير . وكان البيت كئيبا باردا ، فقد هبطت الحرارة فى الليلة البارحة دون درجة التجمد ، وكان الناظر من النافذة يرى مشهدا يابسا: شجرتين جرداوين ، وحديقة قد اصفر بساطها الاخضر ، وأخذ العطن يدب فيها الى كرسيين كبيرين من القش ، قدمهما ضحية للخريف بستانى لا يبالى . وكان يقرأ كتابا انجليزيا : قصة غريبة عن امرأة استحالت ثعلبا ، ويقهقه من حين الى آخر قهقهة عالية ، غير أن رجليه كانتا تضطربان ، فتارة يضع ساقا على ساق ، وتارة يرفع ساقا عن ساق ، وسرى احساسه بالقلق البدنى شيئا فشيئا حتى بلغ ما بين

الكتاب وبينه ، واذ ذاك نهض ، وألقى الكتاب عنه ، وخرج .
ونزل على الارض المنحدرة حتى وصل فيما يلى الحديقة الى غدير صغير ، يتضوع برائحة البرد ورائحة المساء وقد امتزجتا برائحة أبعد ، صادرة عن حريق كومة من أوراق الخريف الجافة ، كاد يميز دخانها وراء سياج . لقد كان يحب هذه الرائحة الاخيرة ويفضلها على كل عبير سواها ، فوقف لحظة ليستنشقها فى عمق ، مغمضا عينيه . وبين الفينة والفينة كان طائر يطلق صيحة عاطلة من الرقة . ولقد أدت تلك اللوحة الجامعة ، أدى تضافر ما تنفثه من الحنين، الى التخفيف من حنينه هو ، دون أن يتبين ما فاض فى نفسه . وانحنى على الماء المعتم ، وغمس فيه يده ، ونظر الى أصابعه النحيلة التى بدت فى الماء مائلة ، بل وشبه عمودية على كفه .. وظل فى مكانه يضم قبضته تحت الماء ضما وئيدا ، وكأنه يريد ان يأسر فيها سمكة خفية . ها هو ذا لم ير « بول » منذ سبعة ايام ، سبعة ايام ونصف . ولا بد أنها قد تسلمت رسالته ، فهزت كتفيها قليلا ، ثم خبأتها لتتجنب أن يطلع عليها « روجيه » وأن يستهزىء به . فلقد كانت طيبة القلب ، انه يعلم ذلك حق العلم . كانت طيبة القلب ، رقيقة الشعور ، بائسة ، وانه لفى حاجة اليها . ولكن كيف السبيل الى ابلاغها ذلك ؟ لقد حاول بالفعل ، ذات مساء ، فى ذلك البيت الموحش ، أن يوجه نحوها فكره ، وأن يحصر هذا الفكر فى تيار طويل مركز خليق بأن ينالها ، وهى هناك فى مكانها من باريس النائية ، بل ونزل من غرفته « بالبيجاما » لينقب فى مكتبة الدار عن كتاب فى علم تجاوب

الارواح . وعبثا كان تنقيبه ، بطبيعة الحال ! لقد كان هذا عملا صبيانيا ، وهو يدرك ذلك ، الا انه مضى يسعى دائما الى تصور الفرج لكل موقف بحلول ساذجة كالتى يتفتق عنها منطق الاطفال ، أو بالتطير والرجم بالغيب . ولكن « بول » كانت شخصية يجب على طالبها أن يثبت جدارته بها – أجل ، انه لا يخفى هذه الحقيقة عن نفسه . فلا قدرة له على الفوز بهما مهما بذل دونها من جاذبية ، ومهما جد فى اختلابها بألوان الفتنة . بل انه كان يلمس ، على النقيض ، أن وسامته تضر به لديها . واذا به يجأر ، فى صوت مرتفع « ان لى سحنة صبى الحلاق » ، واذا بالطائر يكف لحظة عن أنينه الموجع .

وصعد نحو البيت متمهلا ، فاستلقى على السجادة ، ووضع كتلة من الخشب فى النار . وتمثل الاستاذ « فلورى » اذ يعود عما قليل ، متواضعا فى فرحته ، الا أنه فى الواقع أكبر رضا عن نفسه وأشد اعتدادا بها مما هو عليه فى أيامه العادية .. سوف يستعيد ذكريات قضايا شهيرة ، على ملأ من سيدات الاقاليم ، ليبهرهن .. حتى يتعبن من الاصغاء اليه ، فينتهزن فرصة تقديم الحلوى فى آخر العشاء ، ليحولن أنظارهن التى غشاها نبيذ « البورجونى » بغشاء خفيف ، صوب مساعده المحامى تحت التمرين ، ذلك الفتى المهذب الصامت ، أى هو بعينه . وسوف يهمس له الاستاذ « فلورى » قائلا : « ان الحظ يواتيك بهذه المرأة المقبلة عليك » ، وهو يشير فى أرجح الظن الى أكبرهن سنا . لقد سبق لهما أن قاما بأمثال هذه الرحلة معا ، ولكن غمزات المحامى العظيم ،

المأخوذ دائما ، لم تدفع بأى منهمـا يوما الى شوط بعيـد المدى .

ولقد تحقق ما تكهن به . على أن هذا العشاء قد ساده مرح دافق ، قل أن نعم بمثله فى المآدب التى شهدها طيلة حياته . فهو لم يمسك عن الكلام ، بل وألجم لسان المحامى الكبير ، وخلب جميع النسـاء الحاضرات . كان الاستاذ « فلورى » ، عند وصوله ، قد أعطاه رسالة محولة من عنوانه بشارع « كليبر » الى عنوان محكمة « روان » . وكانت من « بول » . فكان يضع يده فى جيبـه ، ويحس بهـا تحت أصابعه ، ويبتسم من السعادة . وكان يحاول ، وهو مسترسل فى أحاديثه ، أن يتذكر عبارات الرسالة بحذافيرها ، ويستمتع باعادة تركيبها فى ذهنه .

« سيمونى الصغير » – فهكذا كانت تدعوه دائما – **لقد كانت رسالتك مسرفة فى الحزن . ولست أستحق هذا كله . على أننى كنت فى شوق اليك . وما عدت أدرى فى وضوح أين أصبح مكانى مما يحيط بى** – وهنا خطت اسمه مرة أخرى : **« سيمون »** – ثم أضافت هاتين الكلمتين الرائعتين : **« عد بسرعة »** .

لسوف يعود على الفور ، عقب انتهاء العشـاء مباشرة . لسوف يقود سيارته بسرعة كبيرة جدا حتى باريس ، ويمر أمام بيتها ، وربما يراها !

وفى الساعة الثانية كان أمام بيتها ، عاجزا عن الحـركة . وبعد انقضاء نصف ساعة ، وقفت عربة أمامه ، ونزلت منها « بول » ، وحدها . ولم يتحـرك ، وانما نظـر اليهـا تعبر

الشارع ، ثم تلوح بيدها للعربة التى استأنفت السير . لقد كانت هى « بول » . وكان يحبها ، ويصغى الى هذا الحب فى داخله ينادى « بول » ، ويلحق بها ، ويتحدث اليهـا .. وظل يصـغى دون أن يتحـرك ، مرتاعا ، موجع النفس ، فارغها ..

الفصل التاسع

• **كانت** بحيرة غابة « بولونى » تنبسط أمامهما ، مثلجة، تحت شمس كئيبة . ولم يكن هناك سـوى رياضى واحـد يجدف ، واحد من أولئك الرجال الغريبى الشأن الذين يراهم الناظر كل يوم يسعون الى المحافظة على قوام لا يعن مع ذلك لامرىء أن ينتبه اليه ، من فرط ما تتشابه أبدانهم . وكان يبذل جهودا عنيفة لاستدعاء الصيف على صفحة البحيرة ، مثيرا بمجدافه أحيانا حزمة من الماء المتلألىء ، الفضى ، تكاد تمجها العين ، اذ قد لاح الشتاء حزينا بين الاشجار الجامدة. وكانت « بول » ترنو للرياضى وهو يصطرع فى عقر زورقه ، متغضن الجبهة . لسوف يدور دورته حول الجزيرة ، ويرجع الى بيته متعبا ، راضيا عن نفسه ..

وتأملت هى تلك الدورة اليومية العنيدة فاكتشفت فيهـا معنى رمزيا . أما سيمون ، فقد كان بالقرب منها ، واجما . كان ينتظر . والتفتت نحوه وابتسمت . فتطلع اليها دون أن يرد لها ابتسامتها . انه لم يكن يجد أى وجه من وجوه الشبه بين « بول » تلك التى من أجلها قطع اقليما فى الليلة البارحة ، « بول » المقبلة عليه ، العارية ــ كما كان يعلم ذلك



« كانت بحيرة غابة (بولوني »
تنبسط امامهما .. »

علم اليقين - المهزومة فى نفسه هزيمة الطريق التى راح ينهبها نهبا ، وبين «بول» هذه الهادئة ، التى لا تكاد تسرها رؤيته ، والتى أضحت تغفو الى جانبه على كرسى من الحديد، فى اطار عتيق مبتذل . لقد كان خائب الامل ، وكان يموه خيبة امله فيعتقد انه لم يعد يحبها. ان هذه الايام الثمانية التى قضاها فى الريف ، تحصره فكرة واحدة ، داخل ذلك البيت الموحش ، لمثل رائع يبين له الى أى شطط يستطيع أن يجرفه خياله . ولكنه فى الوقت ذاته لم يكن بالقادر على أن يكبت فى باطنه هذه الرغبة الاليمة، هذا الدوار الذى يعتريه بمجرد أن يخطر له أن يقلب هذا الرأس الكليل على ظهر الكرسى، مبرحا هكذا برقبتها، وأن يدنى فمه من هذا الفم

الملىء ، الآمن المطمئن ، والذى منه كانت تتساقط منذ ساعتين كلمات السكينة واللطف التى لم يكن لها محل من نفسه . انها قد كتبت اليه تقول : « عد بسرعة » . وفوق ندمه على تمنى هاتين الكلمتين وانتظارهما ، كان يندم على ابتهاجه بقدومهما اليه ، على فرحته البلهاء ، على ثقته . لقد كان خيراً له لو بات شقيا لسبب صحيح من أن يصبح سعيدا لسبب باطل ! .. وقال لها ذلك ، فحولت بصرها عن المجدف لتحدق فيه ، وترد عليه :

ـ يا « سيمونى » الصغير ، شأنك فى هذا شأن الجميع . وذلك آية على أن الذى تصبو اليه شىء طبيعى .

وطفقت تضحك . انه قد وصل كالمجنون الى شارع « ماتنيون » فى الصباح ، فأفهمته من فورها أن تلك الرسالة ما كانت تعنى شيئا .. وعاد يقول :

ـ ومع ذلك ، فلست أنت من أولئك النساء اللواتى يكتبن « عد بسرعة » الى أى امرىء كان .

فقالت :

ـ لقد كنت وحيدة ، وكنت فى حالة عجيبة . ومن البديهى انه ما كان لى أن أكتب لك « عد بسرعة » ، هذا صحيح !

على أنها كانت تعتقد عكس ماتقول . فها هو ذا هنا ، وانها لسعيدة بوجوده هنا . يالوحدتها .. شد ما كانت وحيدة ! فلقد مضى « روجيه » الى قصة جديدة (لم تدعها ألسنة الناس على جهل بها) مع فتاة مجنونة من صغار ممثلات السينما ، وكان على الارجح يستحيى منها ، وان لم يتحدثا عنها قط ، ولكنه كان ينتحل للتبرؤ من خيانته أدلة

شتى لم يكن الرضا عن نفسه هو الذى يمده بها فى العادة . لقد تعشت هى معه مرتين خلال ذلك الاسبوع . مرتين فقط . والواقع انها لولا هذا الفتى الى جانبها ، وهو الذى أشقته بتصرفها ، لاصبحت هى فى أقصى درجات الشقاء .

قال :

ـ تعالى نرجع . انك تسأمين .

فنهضت دون اعتراض . لقد كانت نفسها تنازعها الى مغايظته ، فتلومها كالمشفقة من ارتكاب عمل وحشى . وكانت تلك القسوة هى الوجه الآخر لحزنها ، تلك الحاجة العشواء لثأر لم يكن يستحقه منها . وركبا سيارة « سيمون » الصغيرة ، فابتسم ابتسامة مريرة اذ تذكر الصورة التى كانت نزهتهما هذه الاولى معا خليقة بأن تتخذها فى مخيلته .. صورة يده فى يد « بول » ، وهو يقود السيارة بيسراه قيادة تتخللها معجزات البراعة ، بينما ينحنى عليه هذا الوجه الحسن . ومد يده نحوها على غير هدى ، فأخذتها بين يديها . وجال فى خاطرها : « أولن أستطيع أبدا ، أبدا ، ان اقترف هفوة ؟ » . وأوقف العربة ، فلم تقل هى شيئا ، ونظر هو الى يده ،جامدة ، بين يدى « بول » المنفرجتين ، المتأهبتين لاطلاق يده ، وكأنهما لا تتمنيان غير ذلك ، فألقى برأسه الى الوراء ، وقد اعتورته فجأة سآمة مميتة ، واستسلم لقرار مفارقتها الى أبد الدهر . **فى تلك اللحظة ، شاخ ثلاثين سنة ، وراح يذعن للحياة ، وبدا « لبول » اذ ذاك أنها تتعرفه للمرة الاولى !**

فللمرة الاولى لاح لها شبيهها بها ، شبيهها بهما (هى

وروجيه) ، ذا مناعة تقى شعوره من أن ينجرح لانها كانت تعهده مرهف الشعور ، وما كانت تتخيل انسانا بلا شعور مرهف . لاح لها وكأنه قد تحرر ، وكأنه قد تجرد من كل ما كان صباه وحسنه وعدم خبرته يخلعه عليه من هذا الطابع الفج الذى لا يطاق فى نظرها ، فلقد كانت دائما تحس احساسا مبهما بأنه سجين ، سجين نعومته ونعومة حياته . وها هو ذا يقلب رأسه ، لا نحوها ، بل نحو الاشجار ، رأس رجل نصف ميت، قد كف عن الصراع . وفى الوقت ذاته تذكرت « سيمون » المستبشر ، المشدوه ، الذى لقيته فى رداء البيت ، فتاقت الى أن ترده لنفسه ، وأن تطرده عنها نهائيا ، مسلمة اياه بذلك الى شجن عابر ثم الى ألف فتاة وفتاة ، ما أسهل ما كانت تتصور اقبالهن عليه ! .. ولسوف يعلمه الزمن ، فالزمن خير منها أستاذا وأطول عليه أناة . وكان قد أهمل يده الجامدة فى يدها ، فآنست نبضه على أناملها ، **وفجأة ، والدموع تملأ عينيها** ـ وان كانت لا تدرى أتذرفها على هذا الفتى المدنف أم على ما يشوب حياتها من شقاء ـ **جذبت هذه اليد صوب شفتيها ، وقبلتها .**

ولم يقل شيئا ، وانما استأنف السير .. لاول مرة ، حدث شيء ما بينهما ! .. كان يعى ذلك ، وكان أسعد به مما كان البارحة . فلقد « رأته » أخيرا ، وفطنت اليه . واذا كان من الحماقة بحيث قدر أن أول حادث بينهما لا يمكن أن يكون الا ليلة حب ، فلا يلومن على هذا الضلال سوى نفسه . انه لفى حاجة الى كثير من الصبر ، وكثير من الحنان ، ومزيد من الايام بلا شك . ولقد كان يشعر بنفسه



« .. وفجأة ، والدموع فى عينيها ، جذبت يده وقبلتها .. »

صبورا ، حانيا ، وبأن أمامه العمر كله . بل وتمثل أن ليلة الحب هذه ، لو أتت ، لكانت مرحلة من المراحل ، لا النهاية التى اعتاد أن ينشدها وأن يهدف اليها سعيه .. لسوف تكون بينهما أيام وليال ، ربما ، ولكن الامر لن ينتهى أبدا . وفى الوقت ذاته ، كان يعصف به الوله اليها .

الفصل العاشر

• **كانت** مدام « فان دن بيش » تنحدر الى الشيخوخة . ولما كانت حتى ذلك الحين ـ بفضل ما أوتيت من حسن ومن « موهبة » ، كما قد يقال فى وصف حياتها على أقل تقدير

حتى تاريخ اقترانها الذى كان ميئوسا منه ب « جيروم فان دن بيش » - لما كانت تجمعها الالفة طيلة ذلك العهد بمعشر من الاصدقاء يزيد بينهم عدد الرجال على عدد النساء ، فقد تبينت - مع قدوم الشيخوخة - وحشة تغلبها على أمرها ، وتدفعها الى التعلق بأول طارق أو طارقة ! .. وقد وجدت فى « بول » خير مؤنس ، نتيجة لما كان لهما من صلات بنفس العملاء . وظل مسكن شارع « كليبر » مقلوبا رأسا على عقب ، وأصبح على « بول » أن تلم به كل يوم تقريبا لتعمل فى تنسيقة ، فكانت مدام « فان دن بيش » تلتمس جميع الذرائع لتستبقيها . وفوق ذلك ، كانت « بول » هذه - بالرغم مما يلوح عليها من شرود الذهن - تبدو وثيقة الصداقة « بسيمون » .. وعبثا حاولت « مدام فان دن بيش » أن تقف على أية اشارة تدلها على تواطؤ بينهما وطيد ، بيد أنها لم تكن تستطيع أن تنى عن رميها بغمزات ولمزات راحت تنزلق على « بول » انزلاقا ، ولكنها كانت تثير ثائرة « سيمون » وتخرجه عن طوره ! **وهكذا رأته ذات مساء ممتقع الوجه حائل الملامح ، يتصدى لها ويهددها - وهى أمه التى ولدته ! - بأغلظ الوعيد اذا هى « أفسدت » كل شىء !**

- أفسد ماذا ؟ هلا خليت سبيلى ؟ هل أنت تضاجعها أم لا ؟

- سبق أن قلت لك لا .

- فما بالك اذن ؟ ان لم تكن هى تفكر فى ذلك ، فانى أدفعها الى التفكير . ولك أن تحمد هذا . انها قد جاوزت الثانية عشرة من عمرها .. انك تقتادها الى حفلات الموسيقى

والمعارض، والله يعلم الى أين أيضا .. أفتظن أن هذا يمتعها ؟ ايها الابله ، انك لا تفهم !

ولكن « سيمون » كان قد خرج . وكان قد آب الى باريس منذ ثلاثة أسابيع ، مشوقا يستمد الحياة من وحى « بول » ويعيش من أجل « بول » .. ينعم بالساعات القليلة التى كانت تمنحه اياها أحيانا أثناء النهار ، ولا يفارقها الا فى اللحظة الاخيرة ، بل ويظل ممسكا بيدها بعد انقضاء اللحظة الاخيرة ، كالابطال العاطفيين الذين طالما سخر منهم ! ولذلك ارتاع يوم قررت أمه — بمناسبة انتهائها من تنسيق قاعة الاستقبال — أن تقيم مأدبة عشاء وتدعو اليها « بول » . فلقد أضافت انها سوف تدعو كذلك « روجيه » ، رفيق « بول » الرسمى ، وعشرة أشخاص آخرين .

وقبل « روجيه » الدعوة . فلقد كان يريد أن يرى عن كثب هذا الفتى الغرير الذى مضى يتبع « بول » فى كل مكان ، والذى طفقت تتحدث عنه فى عطف كان يطمئنه أكثر من أى تحفظ . وكان فوق ذلك يشعر بوخز الندم ازاء « بول » لانه أهملها منذ شهر . على أنه كان فى حبائل « ميزى » ، مسحورا ببلاهتها ، وبجسمها ، وبمشاهد شجارها المروع معه ، وبغيرتها المتغلغلة ، وبما طرأ أخيرا عليها من هيام به ، باتت تؤججه وتنفثه فى وجهه كل يوم بأساليب من التهتك والمجون كانت تخلبه . كان يشعر بأنه يعيش فى حر « حمام تركى » ، ويتعلل من خلال وعيه المسلوب بأن ذلك هو آخر هوى فتاك يخوضه فى حياته ، فيستسلم ، ويلغى موعد الليلة مع « بول » — التى اعتادت أن تقول ، بصوتها المستوى :

« حسن جدا ، يا حبيبى ، الى غد » ـ قبل أن يعود الى المخدع المبتذل الذى تقبع فيه « ميزى » ، لتقسم له ، ملتاعة باكية ، انها لتضحى بمستقبلها من أجله اذا أبدى رغبته فى ذلك ! .. وكان يراقب نفسه مستطلعا الى أى مدى عساه أن يتحمل سفاهة هذه العلاقة ، ثم يطوقها بذراعيه ، فتأخذ فى اللغو ، ويغترف مما تهمهم به من عبارات ـ نصفها غباء ونصفها بذاءة ـ اهتياجا حسيا قل ما تذوق مثله . اذن فـ « سيمون » هذا الذى أقبل يؤانس « بول » ، بكل تواضع واحتشام ، انما يؤدى له خدمة تريحه . فبمجرد أن يفرغ من صلته بـ « ميزى » ، سوف يرد الامور الى نصابها ، ثم انه سوف يتزوج « بول » . ولم يكن واثقا من شىء ، بل ولا من نفسه ، وانما الشىء الوحيد الذى وثق منه دائما كان ما تضمره له « بول » من حب راسخ ، وكذلك ـ منذ بضع سنوات ـ ما تأصل فيه من « التعلق » بها .

* * *

• **ووصل** بعد موعد العشاء بقليل . وما كاد يجيل بصره حتى تحقق من أنها مأدبة من ذلك الطراز الذى يشعر فيه بالسآمة المميتة . وكثيرا ما كانت « بول » تلومه على نفوره من الاجتماعيات ، وقد كان فى الواقع لا يسعى الى لقاء أحد من الناس ـ خارج نطاق عمله ـ الا لغرض معين محدد ، أو ليتحدث ، كما هو الحال مع « بول » ومع صديق واحد آخر . كان يعيش منفردا ، ولا يطيق فئة خاصة من المنتديات تعج بها باريس ، فئة كانت توحى اليه بالرغبة فى أن يظهر الجفاء والصفاقة ، أو أن ينصرف !

وكان فى الحفلة نفر من صفوة القوم ، من الشخصيات البارزة فى بعض الاوساط ، أو التى اشتهرت على صفحات الجرائد ، وهم قطعا - علاوة على ذلك - يحسنون المجاملة ، ويمكن للمرء أن يتكلم معهم عن المسرح أثناء العشاء ، أو عن السينما ، أو - وتلك هى الطامة الكبرى - عن الحب والعلاقات بين الرجال والنساء ، فانه الموضوع الذى كان يخشاه دون سائر الموضوعات ، اذ كان يعتقد أنه غير ذى دراية به ، أو أنه على أقل تقدير يعيا عن صياغة ما يدريه عنه فى عبارات مفيدة .

وحيا الجميع وعليه مخايل الصلف ، وفى انتصاب قامته الطويلة شىء من الصلابة ، وهو يحس - احساسا يلازمه كلما وصل الى مكان - بأن حضوره قد سبب هبوب تيار من الهواء غير مناسب . والحق أن هذا الاحساس كان صادقا الى حد بعيد ، فقد كان محضره فى ندوة من الندوات مدعاة للتشتت ، اذ يغلب عليه - لاول وهلة - مظهر من لا يستطيع جوار أن يضمه ولا تستطيع حلقة أن تشمله ، ومن هنا كان - بالنسبة لكثير من النساء - رجلا جذابا . وكانت « بول » ترتدى الثوب الذى يحبه ، ثوبا أسود ، يكشف من نحرها أقصى مما تكشف ثيابها الاخرى ، فانحنى نحوها يبتسم شاكرا لها ما كانت عليه ، أى تجليها له وحده بهذه الطلعة التى حجبت عنه سواها فى ذلك المكان . واغمضت هى عينيها برهة تتمنى مستيئسة لو يأخذها بين ذراعيه . وجلس بجوارها ، واذ ذاك فقط رأى « سيمون » جامدا ، فظن أنه لا بد يتألم من وجوده ، ونزع فى انفعال غريزى ذراعه التى

كان قد مدها خلف « بول » . وهنا تلفتت هى ، وران فجأة ، وسط الحديث العام المتصل ، صمت ثلاثى ، متحفز من ناحيتين ، لم يقطعه الا تحرك « سـيمون » اذ انحنى على « بول » يشعل لها سيجارة . ولبث « روجيه » ينظر اليهما ، ينظر الى قامة « سيمون » الطويلة ، والى هذه الصفحة الجانبية من وجهه الجاد ، الدقيق ، الناعم ، مائلا نحو « بول » التى استوت بمحياها الوقور ، فانتابته ضحكة مستهترة .. لقد كانا متحفظين ، رقيقين ، مهذبين . كان الفتى يقدم لها اللهب وكانت هى تأبى عليه جسدها ، كل ذلك فى أدب جم مرهف ، وهما يقولان : « شكرا ، لا ، شكرا » . أما هو فقد كان من جنس آخر ، كانت تنتظره بغى بذيئة بأحط أنواع اللذة ، وينتظره بعدها ليل باريس العامر بالمصادفات ، ثم ينتظره - عند الفجر - عمل مرهق ، شبه يدوى ، مع رجال مثله قد أضناهم التعب ، وسبق له أن زاول مهنتهم . وفى اللحظة نفسها ، قالت « بول » : « شكرا » بصوتها الوديع ، فلم يسعه الا أن يأخذ يدها ، ويشد عليها ، حتى تثوب اليه . لقد كان يحبها . أجل ، ان فى مقدور هذا الفتى الصغير أن يستدرجها الى حفلات الموسيقى أو الى المتاحف ، ولكنه لن يلمسها . ونهض فتناول كأس « سكوتش » مما قدم على صينية ، وشربه جرعة واحدة ، وأحس بشىء من الانتعاش .

وجرى العشاء على النحو الذى كان قد توقعه . فقد صدرت عنه بضع همهمات ، وحاول أن يتحدث ، لكنه لم يفق الا فى آخر المأدبة عندما سألته مدام « فان دن بيش »

ـ وهى بادية اللهفة على أن تنبئه بالجواب ! ـ هل هو يعلم من الذى يضاجع « فلانة » ؟ فأجاب بأن ذلك لا يعنيه أكثر مما يعنيه أن يعرف ماذا يأكل .. وان مثل هذه الانباء قد أصبحت لا تستأثر بأية أهمية فى نظره ، وأن انشغالنا باستطلاع ما تضمه موائد الناس ، خير من انشغالنا باستطلاع من يضمون فى فراشهم ، فهو افتراء أهون خطرا عليهم .

وأنشأت « بول » تضحك ، لانه بذلك قد أودى بكل ما دار أثناء العشاء من حديث ، ولم يستطع « سيمون » أن يمتنع عن الضحك مثلها . وكان « روجيه » قد أفرط فى الشراب ، ووقف يترنح قليلا حينما غادر المائدة ، فلم يلمح المقعد الذى أخذت تطرقه بيدها مدام « فان دن بيش » ، وهى تتلطف فى اغرائه بالجلوس عليه الى جوارها . فقال له « سيمون » :

ـ ان أمى تدعوك .

وكانا واقفين وجها لوجه . وراح « روجيه » يتفرس فيه ويعشو الى ملامحه ، باحثا بينها عن ذقن طرى أو عن فم خانع ، دون أن يجد شيئا من ذلك ، فتعكر مزاجه وقال :

ـ ولا بد أن « بول » تدعوك .

فأجاب « سيمون » :

ـ انى ذاهب اليها .

وأدار عقبيه . فقبض « روجيه » على مرفقه يستوقفه ، وقد هاج غضبه فجأة . ونظر اليه الفتى بادى الدهشة .

ـ انتظر .. انى أريد أن أسألك شيئا .

وتفحص كل منهما صاحبه ، وهو مدرك أنه ليس لديه ما يقوله بعد . غير أن « روجيه » كان يعجب من الحركة

التى بدرت منه ، والتى ازدهى بها « سيمون » ، بل بلغ من طربه أن ابتسم . ففهم « روجيه » ، وخلى سبيله قائلا :

— لقد أردت أن أسألك « سيجارا » .

— سآتيك به فورا .

وتبعه « روجيه » بعينيه . ثم مضى صوب « بول » التى كانت تتحدث الى زمرة من الحاضرين ، فجذبها من ذراعها . وتبعته ، لكنها استجوبته على التو :

— ماذا قلت لسيمون ؟

— سألته سيجارا . ماذا كنت تخشين ؟

قالت ، وقد اطمأنت : « لا أدرى . كان يبدو عليك الغضب . »

— ولماذا عسانى أغضب ؟ انه فى الثانية عشرة من عمره . أتظنيننى أغار منه ؟

— لا .

وغضت طرفها .

— لو صح لى أن أغار ، لكان جارك الذى الى يسارك أحق بغيرتى . فانه — على الاقل — رجل .

وتساءلت برهة الى من كان يشير بهذا القول ، ولما فطنت اليه ، لم تستطع أن تكتم ابتسامتها . انها لم تنتبه لمجرد وجود ذلك الشخص . فلقد ظلت المائدة طوال العشاء — فى رأيها — تستضىء بسيمون ، الذى كانت عيناه كالمنارة تقبلان بانتظام لتسقطا على وجهها كل دقيقتين ، وتلتمسان لحظها فتتعلقان به . وكانت تمنحه نظرتها أحيانا ، فاذا هو يبتسم ابتسامة ملؤها الحنان والقلق ، فلا تستطيع الا أن تبادله اياها . انه

كان يفوق جارها الجالس الى يسارها حسـنا ، ويفوقه حيوية ، بمراحل لا يحدها حد . ولقد أيقنت أن « روجيه » لا دراية له بشيء من ذلك . وها هو ذا « سيمون » يدنو ويقدم علبة السيجار لـ « روجيه » ، فيقول هذا وهو يتخير منها سيجارا ، في كثير من الحيطة :

ـ شكرا . انك لا تعرف بعد ما يمتاز به السيجار الجيد . تلك لذة من اللذات التي يختص بها من كانوا في سني .

فأجابه « سيمون » قائلا :

ـ اني أدعها لك .. فانى لانفر من هذا .

ـ « بول » ، أظن أن الدخان لا يضايقك ؟

وأضاف وهو يلتفت الى « سيمون » :

ـ وعلى كل حال ، نحن عائدان عما قليل الى البيت ، اذ ينبغي على أن أستيقظ مبكرا .

ولم يسجل « سيمون » لفظة « نحن » التي أصاب بها « روجيه » مرماه ، وانما دار في خاطره : « معنى ذلك انه سينزلها عند الباب الخارجي لدارها ثم يمضي لوصال تلك الصغيرة الفاجرة .. وأنني أنا سأمكث هنا ، محروما منها . »

وتطلع الى « بول » ، وخيل اليه أنه يقرأ على وجهها نفس الفكرة ، فبربر قائلا :

ـ اذا لم تكن « بول » متعبة .. فانى أستطيع أن أوصلها فيما بعد .

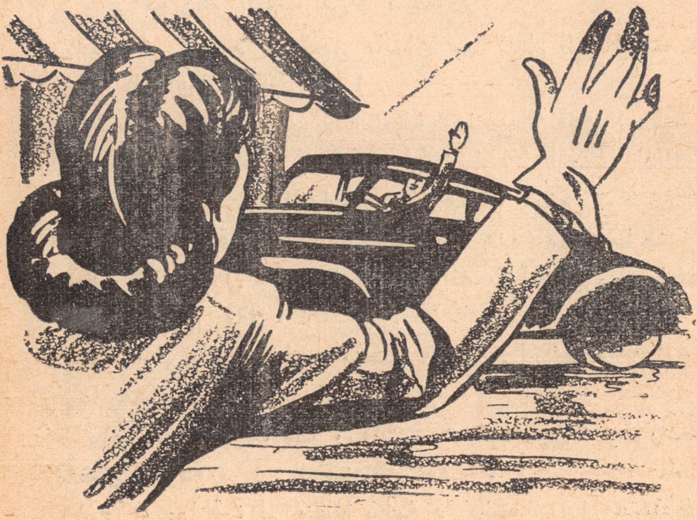
واستدارا نحوها معا . فابتسمت لسيمون ، وقررت انها تفضل العودة ، وأن الوقت قد تقدم .

وفي السيارة ، لم ينطقا بكلمة . كانت « بول » تنتظر .

فقد انتزعها « روجيه »، من سهرة كانت تمتعها ، وكان عليه أن يقدم اليها تعليلا لتصرفه ، أو اعتـذارا . وأمام بابها ، وقف بالسيارة ، وترك محركها دائرا .. وفهمت هى أنه لم يكن لديه ما يقوله ، وأنه لن يصعد معها ، وان كل الذى حدث لم يكن من ناحيته الا رد فعل صدر عن مالك حريص ! .. ونزلت ، وتمتمت « مساء الخير » ، ثم عبرت الشـارع . وانطلق « روجيه » فى الحال ، وهو حاقد على نفسه .

ولكن ، أمام بيتها ، كانت عربة «سيمون» ، و «سيمون» بداخلها . وأهاب بها فأقبلت عليه ، مندهشة :

ـ كيف أتيت الى هنـا ؟ لا بد أنك سقت سـيارتك كالمجنون . وسهرة أمك ؟



فقال مبتهلا اليها : « اجلسى لحظة . »

وتهامسا تحت جنح الليل وكأنهما يخشيان أن يسمعهما سامع . ودلفت الى داخل العربة الصغيرة فى براعة ، ولاحظت أنها اعتادت ذلك .. وأنها اعتادت أيضا أن تجد هذا الوجه الاليف ، المطمئن ، ملتفتا صوبها ، هذا الوجه الذى كان نور المصباح يشطره شطرين .

قال : « لعلك لم تتضايقى أشد الضيق .. »

ـ كلا .. بل اننى ..

وكان دانيا منها جدا ، أدنى اليها مما ينبغى ، هكذا اعتقدت . ولم تكن تلك الساعة المتأخرة من الليل وقتا مناسبا للحديث ، ولا كان له أن يتعقبها . فقد كان يمكن لروجيه أن يراه ... كل هذا كان جنونا .. وقبلت « سيمون » .

وهبت ريح الشتاء تجوب الشوارع ، ونفذت الى السيارة المفتوحة ، وعبثت بشعرهما فألقته فيما بينهما .. وغمر « سيمون » وجهها بالقبلات ، وهى تستنشق ، غائبة عن وعيها ، رائحة هذا الفتى ، وأنفاسه اللاهثة ، وعبير الليل الرطيب . ثم تركته دون أن تنطق بكلمة .

وفى الفجر فتحت عينيها نصف صاحية ، ورأت وكأنها فى حلم تلك الكتلة السوداء من شعر « سيمون » الكث وقد خلطته بشعرها ريح الليل العاتية فأقامت بين وجهيهما دائما حاجزا حريريا ، وظنت انها ما زالت تحس بفمه الدافىء الحار يخترقها . واستأنفت نومها وهى تبتسم .

الفصل الحادى عشر

• لقد انقضت الآن عشرة أيام منذ رآها للمرة الاخيرة . ففى النهار الذى تلا تلك السهرة الجنونية ، حيث جاشت العاطفة ، وحيث قبلته ، تلقى منها كلمة تفرض عليه فيها ألا يسعى الى لقائها بعد ذلك . « اننى خليقة بأن أسبب لك الالم ، وانى أجد نحوك من الحنان أكثر مما يجوز » . ولم يفهم انها كانت أقل خوفا عليه منها على نفسها ، وانما آمن بشفقتها ولم يغضب ، وراح ببساطة يلتمس وسيلة أو فكرة تتيح له أن يواجه الحياة بدونها . وما كان يخطر له أن تحفظات من هذا الطراز : « اننى خليقة بأن أسبب لك من الالم ما لا تطيق ، وان هذا ضرب من التهور » الخ ، ليست الا الاقواس التى ترقم قصة سبقت روايتها توا ، أو قصة ستأتى روايتها توا ، ولكنها لا توجب القنوط على كل حال . وكانت « بول » تجهل ذلك أيضا . فلقد اعتراها الخوف ، وباتت تنتظر – على غير وعى منها – أن يسعى هو اليها وأن يحملها على أن تنساق للحب . وكانت قد ضاقت بأمرها ذرعا ، كانت قد سئمت تتابع أيام الشتاء المتشابهة ، ومجت استعراض تلك الشوارع المحددة استعراضا أبديا ، تلك الشوارع التى كانت تؤدى بها وحيدة من مسكنها الى عملها ، ومقتت جهاز التليفون ، هذا الخائن الذى يخلف لها الندم كلما أصغت اليه ، من فرط ما كان صوت « زوجيه » الذى ينقله اليها صوتا غائبا متهربا ، أو متورطا ينوء بالعار ، كما كلت

من الحنين الى صيف طويل خابت جهودها فى استعادته ..
وأفضى بها هذا كله الى حياة سلبية عزلاء تقتضى بأى ثمن من الاثمان أن « يحدث شىء ما » .

ومضى « سيمون » يعمل . وأصبح مواظبا ، مثابرا ، صموتا . وكان من وقت الى آخر يرفع رأسه ، فيسلط على « مدام أليس » نظرة شاردة ، ويجيل على شفتيه اصبعا حائرا .. انه يتمثل « بول » ، فى تلك الليلة الاخيرة ، وكيف — فى ذلك الاسلوب الفجائى الذى تغلب عليه السيطرة — وضعت فمها على فمه ، وكيف استلقى رأسها ثم ضمت يداها فى رفق قبالة وجهها وجه « سيمون » ، والريح ..
.. وتتأذى « مدام اليس » من تلك النظرة ، فتتكلف السعال ، ويبتسم هو قليلا . لقد ازورت « بول » ساخطة ؛ هذا كل ما كان . وهو لم يحاول أن يتبعها على اثر ذلك ، فهل تراه قد أخطأ ؟ وجعل يمحص فى ذاكرته مرارا وتكرارا أدنى وقائع الاسابيع الماضية : نزهتهما الاخيرة فى السيارة ، وزيارتهما لذلك المعرض الممل الذى فرا منه فرارا ، ومأدبة العشاء الملعونة التى أقامتها أمه .. فأقبلت كل لمحة يستعيدها ، كل صورة ، وكل فكرة يفترضها ، بهم يضاعف من شقائه . على أن الايام كانت تمر ، فهو يكسب بذلك وقتا ، أو لعله يخسر حياته ، انه لم يعد يدرى أين أصبح مكانه مما ألم به ..

وذات مساء ، هبط سلما مظلما بصحبة صديق له ، ووجد نفسه فى ملهى ليلى صغير لم يكن يعرفه . وشربا كثيرا ، وطلبا مزيدا من الخمر ، وألح عليهما الحزن من



جديد . ثم طلعت امرأة زنجية ففنت، زنجية ذات فم عظيم ، وردى ، فتحت أبواب آلاف الشجون ، وأججت نيران أسى عاطفى انزلقا اليه معا وانغمرا فيه . وقال صديق « سيمون » :

– انى لأهب سنتين من عمرى مقابل أن أحب أحدا .

فقال « سيمون » :

– وأما أنا ، فانى أحب ، ولن تعلم هى أبدا أننى كنت أحبها . أبدا !

ورفض أن يدلى بأى تعليق، ولكنه فى الوقت ذاته كان يتصور أن شيئا لم يضع ، وان هذا مستحيل .. كل هذا الخضم الزاخر فى نفسه من أجل لا شىء ! ورحبا بالمطربة لتشرب معهما ، وكانت من نساء حى (بيجال) ، بيد انها

استأنفت الغناء فأنشدت كما لو كانت قادمة من « أورليان الجديدة » ، وأوحت الى « سيمون » المسلوب الخاطر حياة هنيئة حانية ، آهلة بأطياف مقبلة وبأيد مبســوطة . وبات يصغى اليها ، وحده ، ثم عاد الى بيته فى الفجر ، وقد صحا من نشوته .

* * *

• فى **الساعة** السادسة من مســـاء اليوم التالى ، كان « سيمون » ينتظر « بول » أمام المتجر الذى تعمل فيه . وكان المطر ينهمر ، فدس فى جيبيه يدين أمسى يلوم نفسه على ارتعاشــهما . لقد كان يحس احساســا غريبا بالفراغ والتبلد . وهجس فى صدره : « لعلى لم أعد صالحا فى نظرها الا لاحتمال العذاب . » وعبس وجهه مشمئزا .

وفى الساعة السادسة والنصف ، خرجت « بول » . كانت ترتدى حلة داكنة (تايور) ، وتلتفع بوشــاح رمادى كلون عينيها ، وكانت بادية الاعياء . **وخطا نحوها خطوة، فابتسمت له ، واجتاحه فيض مباغت من مشاعر الامتلاء والطمــأنينة أغمض فى غمرته عينيه . لقد كان يحبها . ومهما لحق به من جرائها ، فانه ليس من الخاسرين .** وأبصرت « بول » هــذا الوجه الاعمى ، وهاتين اليدين الممدودتين ، فتوقفت . أجل ، لقد افتقدته طوال هذه الايام العشرة . وكانت تجد أن محضره المتصل ، واعجابه ، وعناده ، قد خلقت لديها ما يشبه عادة شعورية مرهفة لم يكن هناك ما يبرر لها أن تفر منها . على

ان الوجه الذى كان يقدمه اليها لم يكن ذا صلة قط بمدارج العادة ، ولا بالراحة النفسية الملائمة لامرأة فى التاسعة والثلاثين من العمر . لقد كان غير ذلك . وتوسمت فجأة فى افريز الشارع القاتم ، وفى السابلة والسيارات من حولهما ، اطارا صيغ على نمط معلوم ، جامد الزخارف ، لا ينتمى الى أى عهد . وظل كل منهما ينظر الى الآخر ، على قيد مترين بينهما ، وقبل أن تستنيمها واقعية الشارع الصاخبة الكالحة ، وهى مازالت متربصة يقظة ، على أقصى حدود وعيها الخاص ، خطا « سيمون » خطوة وأخذها بين ذراعيه .

ولبث ممسكا بها ازاءه ، لا يضمها بشدة ، معلق الانفاس ، يهيمن عليه هدوء كبير . لقد أسند خده على شعرها ، وراح يرنو أمامه الى لافتة مكتبة تدعى « كنوز الزمان » ، وهو يتساءل فى غير جلاء كم عساها تحوى من درر ـ هذه المكتبة ـ وكم عساها تحوى من نفايات . وفى الوقت ذاته ، كان يعجب من أنه يلقى على نفسه هذا السؤال العابث فى تلك اللحظة بعينها . لقد كان يحس احساس من توصل أخيرا الى حل مسألة .

قالت « بول » :

ـ « سيمون » ، كم مضى عليك من الوقت هنا ؟ ان ثيابك لابد قد تشربت بالمطر .

وكانت تستنشق الرائحة المنبعثة من صوف سترته الخشن ، ومن عنقه ، وهى لا تود أن تتحرك . انها تستروح

فى عودته تعزية لم تكن تتوقعها ، أزاحت عن صدرها ما كان يثقله ، وكأنها بدأت تشعر بالنجاة من هلاك .

قال « سيمون » :

ــ أتعلمين ؟ .. أنا لم استطع مطلقا أن أعيش بدونك . كنت اتخبط فى الفراغ .. بل ولم تدركنى السآمة ، فقد كنت محروما من نفسى . وانت ؟

قالت « بول » :

ــ أنا ؟ أوه ! انك تعلم أن باريس لا تكثر بها دواعى البهجة فى الوقت الحاضر . (كانت تحاول أن تعيد الحديث الى مجرى عادى) . لقد شاهدت مجموعة جديدة ، واضطربت اضطراب أصحاب الأعمال ، وقابلت اثنين من الامريكيين . وهناك مشروع بأن أذهب الى نيويورك ..

وكانت فى الآونة نفسها ترى أنه لا جدوى من حديث بهذه اللهجة بين ذراعى هذا الفتى الواقف تحت المطر ، على نحو ما يظل عاشقان متيمان ، ولكنها لم تكن تستطيع حراكا . **وكان فم « سيمون » يحط فى رقة على جبينها ، وشعرها ، أو وجنتها ، يرقم بذلك كل جملة تفوه بها .** ثم أمسكت عن الكلام ، وزادت قليلا من استناد جبهتها على كتفه .

وأتاها من فوقها صوت « سيمون » يقول :

ــ هل أنت راغبة فى السفر الى نيويورك ؟

وبينما كان يتكلم ، كانت تحس بفكه يضطرب على رأسها ، مما كان يدفعها الى أن تضحك مثل تلميذة صغيرة .

ــ ان الولايات المتحدة خبرة لا بد ممتعة . ألا تظن ذلك ؟ انى لم أذهب الى هناك من قبل .

فقال « سيمون » :

— ولا أنا ذهبت الى هناك . ان امى تجد تلك البلاد فظيعة ولكنها كانت دائما تكره الاسفار .

وكان بوسعه أن يكلمها ساعات طوالا عن أمه ، وعن فن السفر ، وعن أمريكا ، وروسيا . كان يود أن يحدثها مائة حديث مطروق ، وأن يلقى عليها مائة خطاب هادىء ، دون أن يتكلف جهدا . فهو لم يعد يرمى الى أن يثير عجبها او ان يخلب لبها . لقد طاب له مكانه منها ، وان كان يجد الثقة فى نفسه ويشعر بأنه هش فى آن واحد . ولقد كان عليه أن يصحبها الى بيتها حتى يستطيع أن يقبلها حق التقبيل ، ولكنه لم يكن يجرؤ على أن يخليها من بين يديه . وقالت « بول » :

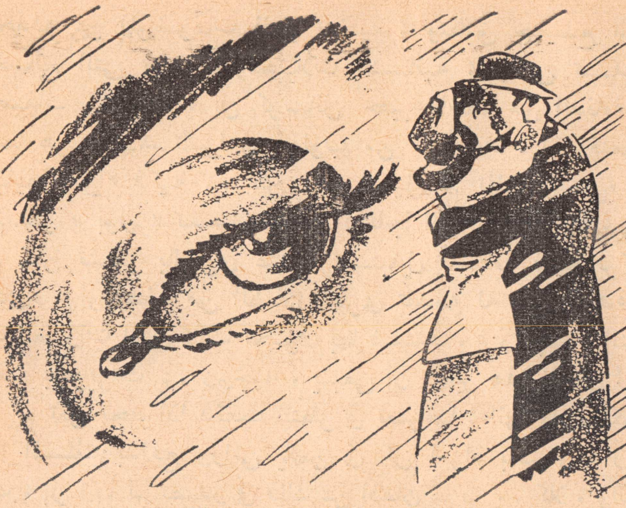
— اننى فى حاجة الى التفكير .

ولم تكن تدرى هل هى تعنيه هو بذلك أم تعنى مشروع رحلتها . انها كانت تتهيب أيضا أن ترفع رأسها فترى أمام وجهها هذا الوجه الذى مازال يافعا ، وتتهيب أن « تجد نفسها » مرة أخرى .. أن تجد « بول » الرزينة الحازمة .. لقد كانت تخشى أن تتحرى أمرها ، وان يقاضيها ضميرها !

وقالت بصوت خافت : « سيمون » .

فانحنى ، وقبلها قبلة خفيفة على شفتيها . واحتفظ كل منهما بعينيه مفتوحتين ، لا يبصر بهما من صاحبه الا بقعة عظيمة متلألئة ، تملؤها أشعة منعكسة وظلال ، حدقة قد طغى اتساعها ، سائلة ، وكأنها مذعورة .

* * *



« لا يبصر كل من صاحبه الا حدقة ، كأنها مذعورة .. »

• **وبعد** يومين ، تناولا العشاء معا . وما كادت « بول » تفوه ببضع جمل حتى أدرك « سيمون » العبرة التى حوتها ـ بالنسبة اليها ـ تلك الايام العشرة ، الا وهى عدم احتفال « روجيه » بها .. وتهكمه على « سيمون » .. ووحدتها .. ولا شك أن « بول » كانت تأمل أن تستغل تلك الهدنة من جانب « سيمون » لاسترداد « روجيه » أو لاستعادة زياراته على أقل تقدير ، وجمع ما تفرق من شملهما . ولكنها اصطدمت بطفل غاضب محتد . لقد بذلت جهودا ما كان أروعها فى تواضعها ! فقد راحت تعد له العشاء الذى يفضله ، وبالاضافة الى ذلك تلبس الثوب الذى يحبه ،

وتحدثه عن الموضوعات التى تعجبه ، وتطبق جميع تلك النصائح التى تنشرها المجلات النسائية ، والتى تبدو كوصفات مضحكة ، بل كوسائل حقيرة أحط من الدناءة ، وانما هى أشد تأثيرا فى القلوب من كل دعاء ، اذا قنعت باتباعها امرأة ذكية .. لكن هذه الحيل لم تفلح فى شىء . ولم تكن « بول » تشعر بالهوان اذ تلجأ الى استخدامها ، بل ولم تكن تشعر بالخزى عندما تستبدل باضاءة فنية لركن هادىء ، أو بفخذ من الضأن الطرى تقدمه له على المائدة ، تلك العبارات التى كانت تحترق بها شفتاها : « روجيه ، اننى شقية بجريرتك .. روجيه ، ينبغى أن يتغير هذا الحال ! » .. لم تكن تجد اذا دققت النظر فى تصرفها ، انها قد سلكت هذا المسلك بدافع وراثى يكمن فى كل امرأة باعتبارها ربة بيت ، بل أنها لم تصدر فى ذلك عن اذعان مرير .. كلا ، وانما عن لون من الشهوة القاسية – «السادية» – يغريها بتعذيب « نفسيهما » ، وبالتشفى مما آل اليه أمرهما معا .. كما لو كان على أحدهما – هو أو هى – أن ينهض فجأة ويقول : « كفانا هذا ! » . ولقد ظلت تنتظر أن ينطلق منها هذا الرد، فى تلهف ، يكاد يعادل تلهفها على أن يبدر الرد من «روجيه» ، ولكن بلا جدوى . فلعل شيئا ما قد مات .

ولما كانت قد انفقت عشرة أيام على هذا النحو ، فى عناء التدبير والتقدير والآمال الكاذبة ، فما كان فى طاقتها الا أن تنهزم أمام « سيمون » .. « سيمون » الذى يقول : « اننى سعيد ، وانى أحبك » دون أن تكون عبارته سقيمة ، سخيفة .. « سيمون » الذى يتلجلج اذا خاطبها من بعيد ،

في « التليفون » .. وما أيسر أن يحب المرء – كما قال لها « سيمون » وهو يتحدث عن نفسه – ولكن المهم هو أن يكون محبوبا أيضا .. ولقد بدا لها ذلك الرأى أصيلا رائعا ، غير أنها – على باب هذه القصة التى اندمجت فيها – كانت تندهش من انها بدلا من ان تجد الاهتياج والاندفاع اللذين مهدا لعلاقة كعلاقتها بروجيه ، لا تجد هنا الا اعياء عظيما رقيقا يسرى فى أوصالها ، ويؤثر حتى على خطاها ! .. وكان كل من يعرفها ينصحها بأن تغير الهواء ، وأما هى فكانت ترى فى أسى أنها سوف تغير بكل بساطة عشيقها ، اذ تستبدل به آخر أقل ازعاجا ، وأوفر أدبا باريسيا ، وما أكثر هذا النوع .. ثم تشيح عن صورتها التى كانت تعكسها امامها المرآة ، أو تغطيها بطبقة من المعجون المرطب . على أنها فى ذلك المساء ، عندما دق « سيمون » الجرس ، وأبصرت رباط عنقه الداكن ، وعينيه القلقتين ، والتهلل العميق الذى أشرق به شخصه كله ، واضطرابه أيضا ، وكأنه امرؤ دللته الحياة وما زالت تغدق عليه ، ودت لو تشاطره سعادته .. السعادة التى تهبه اياها : « ها هو ذا جسمى ، دفئى ، حنانى .. انها لا تفيدنى قط ، ولكنها ربما استعادت بين يديك شيئا من طعمها المفقود .. » .. ولقد باتت تلك الليلة على كتفها .

وراحت تتصور فى أى لهجة سيروى الناس – أصدقاؤها – هذا النبأ : « هل أتاك حديث بول ؟ » .. **وفوق شعورها بالخوف من القيل والقال ، بل وفوق شعورها بالخوف من تفاوت السن بينها وبين « سيمون »** – وهو الشيء الذى كانت تعلم أن الالسنة سوف تلوكه بوجه خاص – **كان يطغي**

عليها الخجل .. الخجل اذ تتمثل المرح الذي سوف يزف الناس به تلك البشرى ، والحمية التى سوف ينسبونها اليها : هذا التفتن فى الاستمتاع بالحياة وبالشبان ! .. على حين كانت هي لا تحس الا بأنها عجوز كليلة تتلمس بعض العزاء . وأمضها التفكير فى قدرة الناس على أن يكونوا ازاءها فى آن واحد قساة ومداهنين ، وهو السلوك الذى شهدته مائة مرة بصدد غيرها من الاشخاص . لقد قيل عنها : « بول هذه المسكينة » لان « روجيه » كان يخونها ، وربما قيل عنها : « هذه المجنونة المستقلة » .. انها عندما فارقت زوجا شابا وسيما مملا قد أثارت لوم اللائمين ورثاء المشفقين، ولكن أحدا لم يضمر لها يوما هذا الخليط من الاحتقار والحسد الذى أوشكت أن تثيره فى هذه المرأة .

الفصل الثانى عشر

• على نقيض ما كانت تعتقد « بول » ، لم يهجع « سيمون » طيلة ليلتهما الاولى ، وانما اقتصر على ضمها اليه ، وقد وضع يده على ثنية خفيفة كانت فى خصرها ، وظل جامدا ، يصغى الى تنفسها المنتظم ويقيس عليه تنفسه . فقد كانت فكرة غامضة تسرى فى خاطره : « ينبغى أن يكون المرء متيما جدا أو زاهدا جدا حتى يتظاهر بالنوم » .. وأما هو ، الذى لم يعهد من قبل الا الحالة الثانية ، فكان يجد فى نفسه ـ اذ يرعى نعاس « بول » ـ مثل استمتاع الكاهنات العفيفات بالفخر ، والمسئولية ، وهن يرعين النار المقدسة فى هيكل « فستا » .. وهكذا قضيا ليلتهما جنبا الى جنب ،

يسهر كل منهما على مايتكلف الآخر من وسن ، منتبهين ، حانيين ، لا يجرؤان على الحراك ..

كان « سيمون » سعيدا . وكان يشعر بانه أشد مسئولية ازاء « بول » - وهى التى تكبره مع ذلك بخمسة عشر عاما - مما لو كان ازاء فتاة عذراء فى السادسة عشرة من عمرها . انه وان لم يزل مسحورا بما تمن به « بول » عليه ، وان مضى يستمد - للمرة الاولى فى حياته - من تلك الضمة احساسا بنوال هدية موهوبة ، فقد بدا له أن يظل ساهرا ، ثابت البصر ، وكأنه يريد أن يحميها سلفا مما قد يلحقه بها يوما من شر ! .. لقد بات متيقظا ، ينهض بالحراسة ، ليقيها من ألوان جبنه هو ، من مهازله الماضية ، ومخاوفه ، وما كان ينتابه من السآمة والفتور . انه سوف يسعدها ، وسوف يكون سعيدا .. وانه ليكتشف فى دهشة أنه لم يقسم لنفسه مطلقا مثل هذه الايمان أثناء أعظم فرص الغرام التى اغتنمها فى مغامراته السابقة . وعلى هذا النحو ، ألمت بهما فى الصباح بضع نوبات من الصحو العابر ، فكان كل منهما - بعد الآخر - يتصنع التثاؤب والتمطى .. التمطى الهادىء .. ولكنهما حرصا على الا يفعلا قط ذلك معا .. فاذا تقلب « سيمون » أو اتكأ على أحد مرفقيه ، كانت « بول » تغوص من تلقائها تحت الاغطية ، خوفا من نظرته ، نظرة الاتصال الاولى ، ويالها من نظرة تافهة حاسمة ! .. فاذا نفد صبرها فتحركت هى ، كان « سيمون » - وهو مغمض العينين ، ولو أنه مصيخ السمع ، خشية أن يفقد نعيمه الليلى - يعمد الى حبس أنفاسه . وأخيرا ، فجأته وهو ينظر اليها ، وعيناه

نصف مغمضتين ، فى بصيص خافت من نور النهار الطالع تخلل الستائر ، فتجمدت وهى مستديرة نحوه . هنالك أحست بأنها عجوز ودميمة ، وأخذت تسدد اليه نظراتها حتى يراها فى وضوح فلا يكون بينهما على الاقل ذلك الالتباس الذى ينجلى عنه الصبح للمفيق . وأما « سيمون » ، وعيناه لا تزالان نصف مغمضتين ، فقد ابتسم ، وتمتم باسمها ، ثم انزلق مقتربا منها .. فهمست : « سيمون » ، وشدت عودها ، محاولة من جديد جعل ليلتها نزوة . ووضع هو رأسه على قلبها ، ولثم فى رفق ثنية ذراعها ، وكتفها ، وخدها ، وهو يضمها اليه . وقال : « لقد حلمت بك ، ولن أحلم منذ اليوم الا بك . » وأطبقت ذراعيها عليه .

* * *

• **وأراد** « سيمون » أن يوصلها الى مقر عملها ، ذاكرا انه على استعداد لان ينزلها عند مفترق الطريق اذا كانت تفضل ذلك . فأجابت ، فى شىء من الاسى ، بأنه ليس عليها أن تؤدى لاحد حسابا ، وسرت بينهما لحظة من الصمت . وكان « سيمون » هو الذى قطع هذا الصمت قائلا :

ـ انك لا تخرجين قبل الساعة السادسة ؟ هل تتناولين الغداء معى ؟

فقالت :

ـ ليس لدى الوقت ، سوف أتناول شطيرة هناك .

فقال شاكيا :

ـ وماذا سأفعل حتى الساعة السادسة ؟

فنظرت اليه . وساورها القلق .. أتراها تستطيع أن تقول له ان التقاءهما فى الساعة السادسة ليس فرضا اجباريا ؟ انها من ناحية أخرى تتمثله أمام الباب ، متلهفا ، داخل عربته الصغيرة ، كل مساء ، فتحمل اليها هذه الفكرة نفحة من السعادة .. انسان فى انتظارك كل مساء ، انسان لا يخاطبك فى التليفون بلهجة فاترة فى الساعة الثامنة ، يوم يود ذلك !.. وابتسمت .

ـ ومن أنبأك بأننى لست اليوم مدعوة الى عشاء ؟

وكان « سيمون » يزر أردان قميصه فى عناء ، فتوقف . وبعد برهة قال :

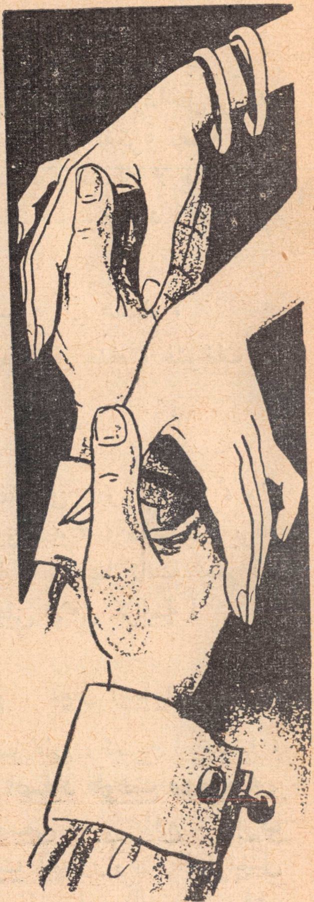
ـ لا شىء فى الواقع يدرينى .

قالها بصوت حيادى . لقد كان يفكر فى « روجيه » ، ولا غرو !.. انه ما كان يفكر الا فى « روجيه » ، فقد كان يراه متأهبا لاسترداد متاعه ، وكان خائفا . ولكنها كانت تعلم أن « روجيه » لا يفكر فيها .. فلتكن على الاقل كريمة !

قالت :

ـ لست مدعوة الى العشاء اليوم . تعال أساعدك .

وكانت جالسة على السرير ، فجثا على ركبتيه أمامها ، مادا ذراعيه ، وكأن سوارى قميصه أصفاد طوقت معصميه . وكان معصماه نحيلين أملسين ، كمعصمى صبى يافع . وبرق فجأة فى خاطر « بول » ، وهى تثبت له أزراره ، أنها تمثل هذا المشهد للمرة الثانية . وقالت فى نفسها « ياله من موقف



« .. وكأن سوارى قميصه أصفاد طوقت معصميه !

مسرحى ! » ، ولكنها أراحت خدها على شعر « سيمون » ، وهى تضحك ضحكة صغيرة هانئة .

وقال « سيمون » فى عناء :

- وماذا سأفعل حتى الساعة السادسة ؟

- لا أدرى .. سوف تعمل .

قال : « لن أستطيع .. انى فى فيض من السعادة . »

- ذلك لا يمنع المرء من العمل !

- بل انه يمنع ، بالنسبة لى .. على انى أعرف فى الواقع ماذا سأفعل . سوف أتنزه وأفكر فيك ، ثم أتناول الغداء وحدى وأنا افكر فيك ، ثم أنتظر أن تحين الساعة السادسة . انك لتعلمين انى لا أتمتع بأى صفة من صفات الشباب النشطاء .

ـ وماذا سيقول محاميك ؟

ـ لا أدرى . لماذا تريديننى على أن أضيع وقتى فى اعداد مستقبلى ، ما دام حاضرى وحده هو الذى يعنينى .. ويرضينى ؟

وقد أضاف هذه الكلمة الاخيرة فى القاء تصاحبه تحية عريضة .

وهزت « بول » كتفيها . ولكن « سيمون » نفذ على وجه الدقة ما قاله ، وكذلك فعل فى الأيام التالية . فقد راح يجوب بسيارته أرجاء باريس ، مبتسما للجميع ، ويمر عشر مرات امام متجر « بول » وهو لا يتجاوز سرعة عشرة كيلو مترات فى الساعة .. أو كان يقرأ كتابا وقد أوقف سيارته أينما شاء ، ثم يدع كتابه احيانا ليلقى راسه الى الوراء ، مغمضا عينيه . لقد كان يبدو عليه كأنه من أولئك المرضى الذين يمشون نياما ، ولكنه سعيد فى هيامه ، وهذا ما زاد « بول » تأثرا وما جعلها ترق له وتعزه . انها كانت تشعر شعور من « يهب » شيئا ، وتعجب من انها قد أصبحت فجأة لا تكاد تستغنى عن شعورها ذاك .

* * *

• **وكان** « روجيه » على سفر منذ عشرة أيام ، فى طقس بغيض ، ينتقل من مأدبة تجمع نفرا من رجال الاعمال الى مأدبة تجمع لفيفا آخر منهم ، واتخذ اقليم الشمال فى نظره صورة رمزية تتألف من طريق زلق لا نهاية له ، ويحف به زخرف عام من المطاعم المتشابهة . وكان من حين الى حين

يخاطب باريس بالتليفون ، فيطلب رقمين مرة واحدة ويصغى الى شكاة « ميزى مارسيل » قبل - أو بعد - أن يبث « بول » شكواه . لقد كان يحس بهمود الهمة والعجز ، وكانت حياته أشبه بهذا الاقليم الذى راح يجوبه .. وكان صوت « بول » يتبدل ، فقد غدا يوافيه أشد قلقا وأبعد شقة ، وانه لفى شوق الى لقائها .. انه لم يسبق له قط ان استطاع قضاء خمسة عشر يوما نائيا عنها دون أن يفتقدها . ففى باريس ، حيث كانت كما يعلم على استعداد للاقاته ، ودائما رهن اشارته ، كان بوسعه أن يباعد بين لقاء ولقاء .. أما وهو فى (ليل) فان هذه المدينة كانت تضفى عليها اغراء ايامهما الاولى ، أيام كانت حياته معلقة بأهداب حياتها وهو يخشى اذ ذاك أن ينالها ، كما يخشى الآن أن يضيعها ! .. وفى آخر أيام رحلته ، أنبأها بعودته ، فقطع الصمت حديثها لحظة ثم استأنفت على الفور تقول : « ينبغى أن أراك » بلهجة حاسمة . ولم يسألها أى سؤال ، وانما ضرب لها موعدا فى اليوم التالى .

ورجع الى باريس أثناء الليل ، ووجد نفسه أمام بيت « بول » فى نحو الساعة الثانية صباحا . وللمرة الاولى ، تردد فى أن يصعد .. فانه لم يكن واثقا من أنه سيجد ذلك الوجه الراضى ، الذى ألف منه أن يلوذ بالهدوء رغم استفزازاته المباغتة .. لقد كان خائفا . وانتظر عشر دقائق ، ونفسه تضايقه ، وهو يتذرع فى مجادلتها بأسباب واهية : « انها نائمة ، انها تسرف فى العمل » الخ .. ثم مضى . وأمام بيته ، تردد أيضا .. ثم استدار فجأة وقصد بيت « ميزى » .

وكانت نائمة ، فمدت اليه وجها منتفخا ، زاعمة له أنها كانت قد خرجت وسهرت طويلا مع منتجيها أولئك الذين لا مفر منهم .. وانها لجد سعيدة ، ولقد كانت على كل حال تحلم به قبل أن يدخل .. الخ .. وخلع ثيابه ، وسرعان ما استغرقه النوم بالرغم من نغزاتها . للمرة الاولى ، لم يكن راغبا فيها ! .. وعند الفجر انصاع آليا ، وتلهى قليلا بحكاياتها ، وقرر أن كل شيء كان على ما يرام . وقضى الصباح لديها ، وفارقها قبل أن يحين موعده مع « بول » بعشر دقائق .

الفصل الثالث عشر

• **قالت** « بول » : « ينبغي أن أتكلم فى « التليفون » . اذا انتظرت الى مابعد الغداء ، فات الاوان » .

ونهض « روجيه » ليفسح لها السبيل عندما غادرت المائدة ، فابتسمت له « بول » ابتسامة الاعتذار الصغيرة التى لم تكن تستطيع أن تقهرها كلما اضطرته ــ نزولا على مقتضيات المجتمع أو مقتضيات القلب ــ الى أية مضايقة من أجلها . وكان يمضها التفكير فى ذلك وهى تهبط السلم الرطب الذى يؤدى الى جهاز « التليفون » . أما مع « سيمون » ، فلم يكن ذلك شأنها . لقد كان من الحرص والانشراح ، ومن التحفز لتلبيتها ، والمبادرة الى فتح الابواب أمامها واشعال السجائر لها ، والاسراع دائما الى قضاء أدنى رغباتها ، بحيث أصبح يحدس هذا كله قبل أن يخطر لها شيء منه ، وبحيث كان ذلك أشبه بسلسلة من اللفتات الرقيقة ، لا من الفروض

والالتزامات . وكانت في صباح ذلك اليوم قد فارقته بين مستيقظ ونائم ، وقد احتضن الوسادة ، وتشعثت خصلات شعره السوداء ، وتركت له هذه الكلمة : « سأخاطبك ظهرا » . ولكنها فى الظهر كانت قد التقت بروجيه ، وها هي ذى تفجأ نفسها متلبسة باهماله وحيدا ، لتتصل بعاشق صبى نؤوم الضحى . أتراه يفطن الى ذلك ؟ لقد كان متغضن الجبهة مهموما ، وعليه عبوس الايام الكدراء ، مما كان يظهره أكبر سنا .

وفى الحال رفع « سيمون » السماعة . وطفق يضحك بمجرد أن لفظت « آلو » ، فضحكت هى أيضا .

ـ هل صحوت ؟

ـ منذ الساعة الحادية عشرة . انها الساعة الواحدة . ولقد اتصلت بمركز البريد لاعلم هل ألم عطب بجهازالتليفون.

ـ لماذا ؟

ـ كان المفروض أن تخاطبينى فى الساعة الثانية عشرة . أين أنتَ ؟

ـ فى مطعم « لويجى » . اننى أبدأ تناول الغداء .

ـ آه ! طيب .

وران عليهما الصمت . وأخيرا ، أضافت « بول » فى لهجة جافة :

ـ انى أتغدى مع « روجيه » .

ـ آه ! طيب ..

ـ انك لا تعرف أن تقول غير هذا : « آه ! طيب ... »



سوف أكون فى المتجر فى الساعة الثانية والنصف ، على أكثر تقدير . ماذا تفعل ؟

فقال « سيمون » متدفق العبارة :

ـ سأذهب لآتى ببعض الثياب من منزل أمى . وسوف أعلقها على مشاجب عندك ، ثم أقصد « دستوس » لابتاع تلك اللوحة المرسومة بالالوان المائية التى أعجبتك هناك .

وساورها الضحك لحظة . انه هو هو « سيمون » ، بطريقته تلك فى ربط جملة بجملة .

ـ لماذا ؟ هل تنوى ايداع جميع ملابسك عندى ؟

وكانت تبحث فى الوقت ذاته عن حجج جدية لتثنيه عن عزمه . ولكن أية حجج ؟ انه لا يكاد يفارقها ، وهى لم تلمه حتى ذلك الحين على ملازمته اياها .

وقال « سيمون » :

ــ نعم . فلقد تكاثر الناس حولك . وأريد أن أقف دونك وقفة الكلب الحارس ، وأن اظهر معك فى حلل نظيفة لائقة .

ــ سوف نعود الى هذا الحديث فيما بعد .

لقد كان يخيل اليها أنها تكالمه منذ ساعة .. فقد كان « روجيه » ينتظر وحده ، فى الطابق العلوى .. وسوف يلقى عليها أسئلة ، ولن تستطيع أن تدفع عن نفسها شعورا بالذنب يتملكها ، من نحوه .

وقال « سيمون » قبل أن يضع السماعة :

ــ انى أحبك .

وخرجت ، فوقفت فى طريقها أمام مرآة المشجب تسوى بالمشط شعرها فى حركة آلية . **لقد كان قبالتها فى المرآة وجه يقول له امرؤ : « انى أحبك » .**

وكان « روجيه » يتجرع كأسا من « الكوكتيل » ، فعجبت « بول » من أمره ، اذ كانت تعلم أنه لا يتناول قط شرابا من هذا النوع قبل المساء .

ــ ألست على مايرام ؟

ــ لماذا ؟ آه ! تعنين « الدراى » ؟ لا ، اننى متعب اليوم .

ــ لقد مضى وقت طويل لم أرك فيه .

ولما أجاب بالايجاب فى شىء من شرود البال ، أحست بالدمع يصعد الى عينيها . لسوف يأتى عليهما يوم تقول له فيه ، أو يقول لها : « منذ شهرين لم نلتق ، أم منذ ثلاثة ؟ » ثم يحسبان الحسبة ، فى هدوء .. « روجيه » هذا بحركاته الرعناء ، ووجهه المجهد ، ومظهر الطفل الذى يغلب عليه رغم

قوته وما يلوح من قسوته .. وأشاحت برأسها . لقد كان يرتدى سترته الرمادية القديمة ، **تلك التى رأتها – وهى ماتزال جديدة – على كرسى فى غرفتها ، عند بدء علاقتهما .** وكان اذ ذاك شديد الاعتزاز بها . انه ما كان يهتم بالتأنق الا فيما ندر ، ولقد كان حقا أثقل جسما مما يجوز للرجل الانيق .

واستأنفت فى هدوء :

– خمسة عشر يوما . هل أنت بخير ؟

– نعم . على كل حال ، لا بأس .

وأمسك عن الكلام . كان يتوقع بلا شك أن تسأله : « وأعمالك ؟ » ، ولكنها لم تفعل . لقد كان عليها أن تحدثه قبل كل شىء عن « سيمون » فيتيسر له بعد ذلك أن يبوح لها بما يكتمه دون أن يخلف له اعترافه شعورا بالصغار .

قال :

– وهل روحت عن نفسك ؟

فأمسكت عن الكلام . كان صدغاها يخفقان ، وكانت تحس بقلبها ينطفىء . وسمعت صوتها يقول :

– أجل ، لقد لقيت « سيمون » . مرارا .

فقال « روجيه » :

– آه ! .. هذا الولد اللطيف ؟ أهو لا يزال مجنونا بك ؟

فهزت رأسها ببطء ، وزادت هزة لم تكن تريدها ، وهى لا ترفع عينيها .

قال « روجيه » : « وهل أصبح هذا يروق لك ؟ »

فرفعت رأسها ، ولكنه – بدوره – لم يكن ينظر اليها ،

وانما كان يوجه انتباها كبيرا الى ثمرة البرتقال المز (الجريب) التى أمامه . وخطر لها أنه قد فهم ، فقالت :

ــ نعم .

ــ أهو يروق لك ؟ أم أنه يمنحك متعة أكثر ؟

وهنا راحا يتبادلان النظر . ووضـع « روجيه » ملعقته على طبقه . ومضت تتصفح فى شوق محتدم هاتين الثنيتين الطويلتين حول فمه ، ووجهه الجـامد ، وعينيه الزرقاوين وقد جللتهما فى محجريهما آثار شىء من التعب . وقالت :

ــ أكثر .

وعادت يد « روجيه » الى الملعقة ، فقبضت عليها . وجال فى خاطرها أنه لم يحسن يوما آداب تناول هذه الفاكهة . وكان يبدو لها أن الوقت لا يمر ، وان كان يصفر فى الوقت ذاته ملء أذنيها .

وقال « روجيه » : « أظن أنه ليس لى ما أقوله . »

ومن ذلك عرفت أنه كان شقيا . فلو كان سعيدا ، لعاتبها. ولـكنه اذ ذاك كان كالمرجوم الذى ألقمته الحجر الاخير . وتمتمت : « لقد كان لك أن تقول كل شىء . »

ــ أنت نفسك تضعين ذلك فى صيغة الماضى !

ــ لكى أوفر عليك هذا العناء يا « روجيه » . لو انى قلت لك ان كل شى ء مازال رهن اشارتك، بماذا عساك تجيبنى ؟

ولم يجب بشىء ، وانما ظل يحدق فى سماط المائدة .. واستأنفت :

ــ لا بد أنك كنت ستقول ان حريتك أشد الحاحا عليك ،

وان خوفك من أن تفقدها أقوى من .. من ان تقاومه ببذل ما يلزم من الجهد لاستردادى .

فقال « روجيه » فجأة :

ـ انى أقول لك اننى لا أدرى شيئا . انا طبعا أكره ان أتصور انه .. لعله موهوب على الاقل ؟

ـ **ليس الامر أمر مواهب من هذا القبيل . انه يحبنى .**

ورأت أساريره تنفرج قليلا ، ومقتته لحظة . لقد راح يستعيد طمأنينته ، فلم يكن هذا كله فى نظره سوى أزمة عاطفية ، وما زال هو هو العاشق ، الحقيقى ، الذكر .

وهنا أضافت : « وان كنت بطبيعة الحال لا أستطيع أن أقول اننى لست افتتن بمحضره ، من ناحية معينة . »

وخطر لها ، وهى مذهولة : « انها المرة الاولى التى أوذيه فيها ، متعمدة » .

فقال « روجيه » : « أصارحك بأننى ما كنت أنتظر ، عندما دعوتك للغداء ، اننى سأتجشم سماع قصة عبثك مع فتى صغير . »

فقالت « بول » فورا : « وانما كنت تظن انك ستدع لى أن أجتلى قصة عبثك مع فتاة صغيرة ! »

فقال وقد عض على نواجذه :

ـ ان هذا على كل حال أنسب من ذاك .

وكانت « بول » ترتعش . ثم تناولت حقيبة يدهاونهضت وهى تقول : « أظن أنك ستحدثنى الآن عن عمرى ؟ »

ـ بول ...

ونهض هو أيضا ، **ومضى يلاحقها خلال الابواب التى راحت**

تغيب وراءها ، وقد أعمت عينيها الدموع .. حتى أدركها عند سيارته . لقد كانت تحاول دون جدوى ان تنطلق بها . فمد يده من الباب ، ووضع مفتاح الاتصال الذى كانت قد غفلت عنه . ها هى ذى يد « روجيه » .. وأدارت نحوه وجها حائلا :

ــ « بول » .. انك لتعلمين .. لقد كنت دنيئا . وأسألك المغفرة . انك تعلمين أننى لم أكن أقصد ذلك .

ــ اعرف هذا ، لكنى كنت متألمة أيضا . ويحسن بنا الا نلتقى مدة من الوقت .

وظل جامدا ، وكأنه تائه . وحيته بابتسامة صغيرة ، قائلة :

ــ الى اللقاء يا حبيبى .

فانحنى على الباب يقول :

ــ انى متمسك بك يا « بول » .

وانطلقت مسرعة جدا حتى لا يرى الدمع الذى كان يغشى بصرها . وفى حركة آلية ، أدارت ماسحتى الزجاج ، فأثار فيها ما أتته ضحكة حزينة . كانت الساعة الواحدة والنصف . كان لديها اذن متسع من الوقت لتعود الى بيتها حيث تهدأ وتصلح زينتها . وكانت تتمنى ــ وتخشى فى آن واحد ــ ان يكون « سيمون » قد انصرف . واذا بها تقابله عند الباب الخارجى .

ــ « بول » .. ما خطبك ؟

ومن ذعره أخطأ التعبير ، ونأت عنه صيغة الالفة فى القول . فخطر لها : « انه يرى أننى قد بكيت ، ولا شك فى أنه يرثى

لى » ، وتضاعفت دموعها . ولم تجب . وفى المصعد ، طوقها بذراعيه ، ورشف دمعها ، وناشدها أن تكف عن البكاء ، وأقسم فى غير تمييز أن « يقتل ذلك الشخص » ، مما دفعها الى الابتسام .

- لا بد أن منظرى رهيب .

واذ لفظت هذه العبارة ، ملكها احساس بأنها عبارة قرأتها ألف مرة ، أو سمعتها فى روايات السينما مائة مرة .

ولما جلست على الاريكة بجوار « سيمون » ، أخذت يده وقالت :

- **لا تسألنى عن شىء .**

- اليوم لن أفعل . ولكننى سأسألك ذات يوم عن كل شىء . ذات يوم قريب جدا . انى لا أطيق أن يبكيك أحد ..

ثم صاح فى غضب : « .. لا أطيق ان يتمكن هو من أن يبكيك . وأنا ، أو لن أتمكن أنا يوما من ابكائك ؟ »

ونظرت اليه : انما الرجال حقا وحوش كاسرة .

- وهل تحرص كل هذا الحرص على ذلك ؟

- بل أفضل ان أتعذب أنا .

وأخفى وجهه فى نحر « بول » .

وعندما رجعت الى بيتها فى المساء ، كان قد شرب ثلاثة أرباع زجاجة « سكوتش » ، دون أن يغادر مكانه . وأعلن لها فى جد ووقار أنه كان نهبا لهموم شخصية ، وارتجل خطابا عن مشقة الوجود ، ونعس على السرير بينما كانت تخلع له حذاءه ، وهى نصف مشفقة ، نصف مذعورة .

* * *

• **كان** « روجيه » يطل من نافذته ، وينظر الى الفجر . وكان ذلك فى أحد فنادق الريف المسماة بـ «المزارع» ، فى ربوع (ايل دى فرانس) ، حيث يتخذ الريف صورة عجيبة هى مصداق ما يتمثله الذين أرهقتهم المدينـة . انه الريف ذو التلال المطمئنة ، والحقول الخصبة ، ولوحات الاعلانات على طول الطريق . غير أنه فى تلك الساعة الشـاذة التى يفيق فيها النهار ، كان الريف الحقيقى البعيد ، ريف الطفولة ، قد أقبل يحاصر « روجيه » بنفحات مطر ثقيلة باردة . والتفت فقال : « ياله من جو بديع يلائم عطلة آخر الاسبوع ! » بيد أنه كان يعتقد : « هذا رائع . انى أحب الضباب . ليتنى أستطيع أن اكون وحـدى . » وفى دفء فراشـها تقلبت « ميزى » ، وسألته :

ــ اقفل النافذة . الدنيا برد .

وجذبت الغطاء فوق كتفيها . وكادت تختنق ــ رغم ما كان يشمل جسمها المسترخى من نعيم ــ اذ تدهمها فـكرة هذا النهار الآتى ، فى ذلك المكان المجهول ، مع « روجيـه » الصامت الذاهل ، وتلك الحقول الممتدة ما امتد البصر .. كانت تريد أن تئن . وقالت فى لهجة جافة :

ــ لقد طلبت أن تغلق النافذة .

وكان قد أشعل سيجارة « جولواز » ، أولى سجاير اليوم ، وجعل يتذوق لذعها المنفر تقريبا ، واللذيذ مع ذلك ، بعد أن انقطع حلم الصباح ، وهو يشعر فى نوع من نفاد الصبر بعـداء « ميزى » يلفه . « **فلتغضب ، ولتنهض واثبـة ، ولتركب السيارة العامة ، ولتعد الى باريس ! فلسوف أتنزه**

مشيا فى الحقول طول النهار ، ولن يتعذر على أن أجد كلبا ضالا ليرافقنى » ، ذلك أنه كان يرهب أن يكون وحيدا .

على أن « ميزى » ، بعد اصدار أمرها الثانى ، أصبحت تتردد . لقد كان أمامها ان تنسى النافذة وتستأنف النوم ، أو ان تبدأ الشجار . وفى ذهنها الذى مازال يغشيه النعاس، كانت تضطرب عبارات مثل : « اننى امرأة تشكو البرد . وهو رجل يجب عليه أن يغلق النافذة » ، بينما تقول لها غريزتها ـ المبكرة جدا فى ذلك اليوم ـ ان عليها ألا تستفز «روجيه».

واختارت حلا وسطا ، فقالت :

ـ كان ينبغى أن تغلق النافذة وأن تطلب الافطار ياحبيبى.

واستدار « روجيه » ، خائب الامل ، وقال عرضا :

ـ حبيبى ؟ ماذا تعنى كلمة « حبيبى » ؟

فأنشأت تضحك ، أما هو فمضى يقول :

ـ أنا لا أسألك أن تضحكى . اتدركين فقط معنى « حبيبى » ؟ هل أنت تحبيننى ؟ وهل تعرفين الا عن طريق السمع والترديد فعل « أحب » ؟

وعجب من العبارات التى فاه بها ، وجال بخاطره : « لابد أننى ضيق بأمرى حقا . فحينما أبدأ فى الاهتمام بألفاظ امرأة ، فذلك دليل على أن النهاية قد اقتربت . »

وقالت « ميزى » : « ماذا جرى لك ؟ »

ورفعت خارج الفراش رأسا كاد يصعقه الرعب ، ـ بحيث بدا له مضحكا ـ ونهدين لم يعد يشتهيهما . متهتكة . يالها من متهتكة !

فقال : « ان العواطف شىء هام جدا . ولكنى بالنسبة اليك



فرصة عابرة ، فرصة مناسبة تنتهزينها . لذلك لا تسميني « حبيبي » ، ولا سيما في الصباح ، اما في الليل ، فقد يجوز ! »

وفطنت «ميزي» الى الخطر المحدق ، فاحتجت قائلة :

ـ بل اني أحبك يا «روجيه» .

فصاح بها : « آه ! لا ، لا تقولي أي كلام كان . »

وكان يشعر بخليط من الضيق ـ اذ صدر عنه ماينافي طبيعة الرجل الهمام التي تكاد تغلب عليه ـ ومن التخفف ، لان هذه العبارة قد أعادت الوضع بينهما الى ذلك الموقف التقليدي الذي يعهده ويألفه ، موقف الرجل الذي يتبرم بحب جاء في غير أوانه .

وارتدى مسرعا صديريته الصوفية فوق « بنطلونه »

وخرج ، آسفا على سترته الثقيلة . ولكنه ما كان يستطيع ان يتناولها الا اذا طاف حول السرير ، وتلك حركة تضيع على خروجه مزية الاسراع التى كان يسعى اليها ! وفى الخارج استنشق الهواء المثلوج ، فأخذه ما يشبه الدوار . لا بد له من أن يعود الى باريس ، ولكن دون أن يلقى «بول» . وتمثل السيارة تنساب على الطرق الرطبة ، وأنه يتناول قهوته فى حى (باب أوتوى) ، فى « باريس يوم الاحد » الهامدة . وعاد الى الفندق فسدد حسابه ، وتسلل كاللص الهارب . سوف تحضر «ميزى» سترته ، وسوف يرسل اليها « سكرتيرته » لتتسلمها ، حاملة لها باقة من الزهر . وكان يردد فى نفسه ، بلا مرح : « ذلك أنى لا أعرف أن أعيش » .

وقاد عربته فترة ، مقطب الحاجبين ، ثم مد يده نحو المذياع ، وتذكر : « معنى فعل « أحب » ، كان يصدق على بول وعلى » . **انه لم يعد يتذوق شيئا . لقد فقدها !**

الفصل الرابع عشر

• **بعد** انقضاء أسبوع ، فى مسكنها ، ضاق صدر «بول» برائحة التبغ . ففتحت نافذة غرفة الاستقبال ، ونادت « سيمون » ، فلم تتلق جوابا . وساورها الخوف لحظة ، وعجبت من احساسها ذاك . واجتازت غرفة الاستقبال ، ودخلت حجرتها . كان « سيمون » نائما ، وقد تمدد على السرير ، وانفتح قميصه حول نحره . ونادته مرة أخرى ، فلم يتحرك . ورجعت الى غرفة الاستقبال ، وفتحت خزانة

فيها ، ونظرت الى زجاجة « السكوتش » ، ثم ردتها الى مكانها ، وقد ارتسم على وجهها شيء من عبوس الاشمئزاز . وبحثت بعينيها عن قدح ، فلم تجده ، ودلفت الى المطبخ . هناك كان قدح ، مغسولا ، يسبح فى الحوض . وظلت برهة جامدة ، ثم خلعت معطفها مستأنية ، وفى الحمام أعادت زينتها وسوت شعرها بعناية . وسرعان ما وضعت الفرشاة، وهى تلوم نفسها على تأنقها وكأنه من النقائص . **فما بالها تسعى الى أن تفتن « سيمون » !**

وآبت الى حجرتها ، فهزته ، وأضاءت مصباح السرير . وتمطى ، وتمتم باسمها ، ثم انقلب نحو الجدار . فقالت فى لهجة جافة :

ــ « سيمون » !

وعندما تقلب ، بدت ملفعة « بول » التى لا بد انه قد دس فيها وجهه قبل أن ينام . ولقد سبق لها أن مازحته بشأن تطيره ، أما الآن فهى صادفة عن الضحك . كانت تشعر بغضب بارد ينالها . وأدارت « سيمون » صوب النور ، ففتح عينيه ، وابتسم ، ثم كف عن الابتسام فى الحال .. وسألها : « ما الامر ؟ »

ــ لدى ما أريد أن أقوله لك .

فقال وهو يجلس على السرير : « كنت أتوقع ذلك . »

ونهضت ، لانها اضطرت الى أن تكبت حركة آلية كادت تأتيها لتزيح الخصلة السوداء التى كانت تتدلى على عينيه . واستندت الى النافذة .

ــ « سيمون » ، أن هذا الحال لا يمكن أن يستمر . وهذا

آخر تنبيه أوجهه اليك . يجب عليك أن تعمل . لقد بلغ بك الامر أن أمسيت تشرب فى الخفاء !

ـ أنا انما غسلت القدح ، لانك تكرهين عدم النظام !

فقالت بعنف : **«انى أكره عدم النظام، والكذب، والخنوع . وقد بدأت أكرهك .»**

وكان قد نهض ، فانها تحس به واقفا وراءها ، حائل الوجه ، وتتعمد ألا تلتفت اليه .

وقال : « كنت أشعر شعورا واضحا بأنك أصبحت لا تحتملينني . وبين الاكتفاء بالمودة والانصراف عن الحب ، خطوة واحدة سريعة ، أليس كذلك ؟ »

ـ ليست المسألة مسألة عواطف ، يا « سيمون » . المسألة هى أنك تشرب ، وأنك لاتعمل شيئا ، وأنك تتبلد . لقد قلت لك أن تشتغل . أوصيتك بذلك مائة مرة . وهذه هى المرة الاخيرة .

ـ وماذا بعدها ؟

ـ بعدها ، لن أطيق أن أراك .

فقال مستغرقا فى التفكير :

ـ لعلك ترضين بأن تهجرينى هكذا ..

ـ نعم .

واستدارت نحوه ، وفتحت فاها :

ـ اسمع يا « سيمون » ..

وكان قد عاد فجلس على السرير ، وراح ينظر الى كفيه نظرات غريبة . ثم رفعهما ببطء حتى أسندهما الى وجهه . وظلت مشدوهة . لم يكن يبكى ، ولم يكن يتحرك ، **وبدا**

لبول انها لم تر قط من قبل انسانا فى مثل هذا اليأس المستحكم . وتمتمت باسمه ، كأنها تريد أن تنتشله من خطر لم تكن تدركه ، ثم أقبلت عليه . لقد كان يترنح فى رفق على حافة السرير ، وما زال يخفى وجهه . وظنت لحظة انه كان ثملا ، فمدت يدها لتوقف هذا الترنح . ثم حاولت ان تنحى يديه ، فكان يقاوم ، وانتهى بها الامر الى أن تركع قبالته وأن تمسكه من معصميه .

— « سيمون » ، أنظر الى .. « سيمون » ، دعك من هذه المهزلة .

وأزاحت يديه ، فنظر اليها . كان ذا وجه جامد أقصى الجمود ، أملس ، كوجوه بعض التماثيل ، وفى عينيه نظرتها الصماء العمياء . ودون أن تعى ، وضعت « بول » يدها على عينيه .

— ماذا دهاك ؟ « سيمون » .. قل لى ، ماذا بك ؟ ..

فزاد من انحنائه ، وحط رأسه على كتفها ، وهو يزفر زفرة لاغب مهدود . وقال فى سكينة :

— بى أنك لا تحبيننى ، وأن جميع ما فى وسعى أن أفعله لا يجدى .. واننى ، منذ البداية ، كنت أعلم أنك سوف تصديننى .. واننى كنت أنتظر ، وانا أطأطىء ظهرى تارة واتعلل بالامل تارة أخرى .. وهذا هو شر البلية ، اننى كنت أتعلل بالامل أحيانا ، ولا سيما فى الليل — وقد قال هذه العبارة فى صوت خافت ، وأحست « بول » كأن حمرة الخجل تضرج وجهها — ثم حدث اليوم ما كنت منذ ثمانية أيام على يقين منه ، ولم يكن كل ما فى الدنيا من « الويسكى » يستطيع أن

يبعث الطمأنينة فى نفسى . لقد كنت أشعر بك تبغضينني على مهل . هو ذاك يا « بول » ، ثم يا « بول » . . .

وكانت قد طوقته بذراعيها ، وجعلت تضمه اليها ، وملء عينيها الدموع . وكانت تسمع صوتها يتمتم بكلمات مطمئنة : « سيمون ، أنت مجنون . . ما أنت سوى طفل . . ياحبيبى ، يا حبيبى المسكين . . » . وكانت تقبل جبهته ، ووجنتيه . وخطر لها لحظة — وهى تقسو على نفسها — أنها قد بلغت فى ختام أمرها درجة الامومة . وفى الوقت ذاته ، كان بها شيء يعاند ، ويروق له أن يهدهد فى « سيمون » ألما قديما مشتركا . . . وقالت :

— انك متعب . لقد مثلت لنفسك رواية الرجل المهجور ، فكنت ضحية تمثيلك . اننى حريصة عليك . اننى يا « سيمون » حريصة جدا عليك . لقد كنت شاردة البال ، فى هذه الايام الاخيرة ، تشغلنى شئون عملى ، هذا كل ما فى الامر .

— أهذا كل ما فى الامر ؟ أولا تريدين أن أرحل ؟

فقالت وهى تبتسم :

— ليس اليوم . انما أنا أريد أن تعمل .

— سوف أعمل كل ما تشائين . تمددى بقربى يا ((بول)) ، فلقد عصف بى الخوف . اننى محتاج اليك . قبلينى . ولا تتحركى الآن . انى أكره هذه الثياب المعقدة . . ((بول)) . .

وبعد ذلك ، لم تتحرك . كان يتنفس وادعا فى حضنها ، مكدودا ، واذ وضعت يدها على رقبته ، اجتاحها شعور بالتملك ، شعور بلغ من حزه وايلامه أن صور لها أنهاتحبه . وفى اليوم التالى ، مضى الى عمله ، فأصلح بعض ما كان

قد فسد بينه وبين أستاذه ، وتصفح بعض الملفات ، وخاطب « بول » بالتليفون ست مرات ، واستعار نقودا من أمه التى رضيت عنه ، ثم رجع لدى « بول » فى الساعة الثامنة والنصف ، يبدو عليه ارهاق العمل . وكان قد عمد فى آخر النهار الى انفاق ساعتين فى لعبة « ٤٢١ » باحدى الحانات ، لا لشىء الا ليعود بهذه العودة المظفرة . وكان يعتقد فى قرارة نفسه أن تلك مهنة مملة جدا ، وأنه سيجد كثيرا من المشقة فى سبيل ملء الساعات الجوفاء .

الفصل الخامس عشر

• **اعتاد** « روجيه » و « بول » أن يرحلا معا فى شهر فبراير لقضاء أسبوع فى الجبل . وكان من المصطلح عليه بينهما ، مهما كان وضعهما العاطفى (وفى ذلك العهد لم يكن الامر يعنى سوى وضع « روجيه ») ، أن يتدبرا شأنهما بحيث يدخران على هذا النحو ، فى كل شتاء ، بضعة أيام هادئة. وذات صباح، خاطب «روجيه» «بول» فى مكتبها، ينبئها بأنه قد اعتزم السفر بعد عشرة أيام ، ويستفهم عما اذا كان ينبغى أن يأخذ تذكرة لها . فكان صمت . وتساءلت لحظة ، فى هلع ، ما عسى أن يكون الحافز لديه الى هذه الدعوة : أحاجة غريزية اليها، أم ندم، أم الرغبة فى أن يفصلها عن «سيمون»؟ وربما لم تكن ترتاح نفسها الا للتعليل الاول ، بيد أنها كانت على يقين — مهما قال لها — من أن اطمئنانها لن يدرأ عنها شر العذاب ابان ذلك المقام . وفى الوقت ذاته ، كانت تتمثل

« روجيه » فى الجبل ، يفيض حيوية ، ويهبط المنحدرات كأنه الكرة ، جارا اياها وراءه ، وهى مذعورة .. فتمزق قلبها هذه الذكرى .

ـ ايه ؟ ما قولك ؟

ـ لا أعتقد أن هذا ممكن يا « روجيه » . سوف نتظاهر اذ ذاك بأن .. بأننا لسنا نفكر فى شىء آخر .

ـ الحق انى انما أرحل كى لا أفكر فى شىء . وأؤكد لك اننى قادر جدا على ذلك .

ـ كنت خليقة بأن أسافر معك لو أنك .. (وأوشكت أن تقول : « لو أنك كنت قادرا على أن تفكر فى ، أن تفكر فينا » ، ولكنها صمتت) .. لو أنك فى حاجة حقا الى محضرى . فلسوف تكون فى خير حال وحدك او مع .. احد غيرى .

ـ طيب . اذا صح فهمى ، فأنت لا تريدين مغادرة باريس فى هذه الآونة .

وقالت فى نفسها : « انه يفكر فى « سيمون » .. لماذا لا يستطيع امرؤ أن يفصل المظاهر عن الحقيقة ؟ » وفى الوقت ذاته ، قالت لنفسها ان « سيمون » ، منذ شهر ، قد أصبح فى الظاهر « حياتها اليومية » . ولعلها كانت مدينة له بهذا الرفض الذى سرعان ما دفعها دافع الى أن تجابه به صوت « روجيه » فقالت :

ـ ان شئت هذا التأويل ..

وكان صمت .

ـ لا تبدو على وجهك دلائل الصحة الجيدة يا « بول » فى هذه الايام ، بل يلوح عليك التعب . فاذا لم تسافرى معى ،

فلتسافرى الى جهة أخرى ، انك فى حاجة الى ذلك .

وكان صوته رقيقا حزينا ، فأحست « بول » بالدموع تصعد الى عينيها . أجل ، لقد كانت فى حاجة اليه ، لقد كانت فى حاجة الى أن يبسط عليها حمايته كاملة ، بدلا من أن يعرض عليها هذه الايام العشرة بسعر أرخص . كان من الواجب عليه أن يدرك ذلك ، فان لكل شيء حدودا ، حتى لانانية الذكور .

قالت : « لسوف أسافر . وسوف نتبادل ارسال بطاقات البريد المصورة ، من قمة الى أخرى . »

وأنهى المكالمة . والخلاصة أنه ربما كان قد سألها عونا ، بكل بساطة ، فامتنعت عن امداده بذلك العون . ياله من حب رائع تكنه له ! ولكنها كانت فى الوقت ذاته تشعر شعورا مبهما بأنها قد أصابت ، وبأن من حقها أن تتشدد وأن تشقى بتشددها ، بل وان ذلك يكاد يكون من واجبها . وبعد ، فانها امرأة يهيم بحبها عاشق مفتون . ولم تكن ، حتى ذلك الحين ، قد ارتادت فى صحبة « سيمون » الا مطاعم الحى الصغيرة ، وحدهما دائما . غير انها ، عندما رجعت الى البيت فى ذلك المساء ، وجدته واقفا فى مدخل الباب ، وقد ارتدى حلة قاتمة ، وسوى شعره كأبدع ما يكون ، وعليه سمات الوقار . هناك لاحظت ، كما لاحظت من قبل ، سحر جماله : امتداد عينيه الخلاب ، وقسامة فمه المتقنة ، ورأت — مما أضحكها — أن هذا الغلام الامرد ، الذى يقضى النهار بين ثنايا ملابسها فى انتظارها ، كانت له وسامة فارس مرموق ، وجلاد يفتك بالقلوب !

ـ يا للاناقة ! ما الخبر ؟

ـ اننا خارجان . سنتعشى فى مكان فاخر ونرقص . ولو اقتصرنا على أكل بيضتين مقليتين هنـا ، لما قل سرورى ، ولكنى أود أن أنزهك .

وراح يخلع عنها معطفها . ولاحظت انه قد غمر نفسه بالماء المعطر . وفى غرفتها ، على السرير ، كان قد انبسط ثوب من ثياب السهرة ، مفتوح الصدر جدا ، لم يسبق لهـا أن ارتدته سوى مرتين فى حياتها . وقال « سيمون » :

ـ انه الثوب الذى أفضله . هل لك فى « كوكتيل » ؟ .

وكان قد أعد من أصناف « الكوكتيل » ما تحبه .. وجلست « بول » على السرير ، مبلبلة الخاطر ، فها هى ذى تنزل من الجبل لتجد نفسها فى سهرة من سهرات المجتمع الراقى ! وابتسمت له .

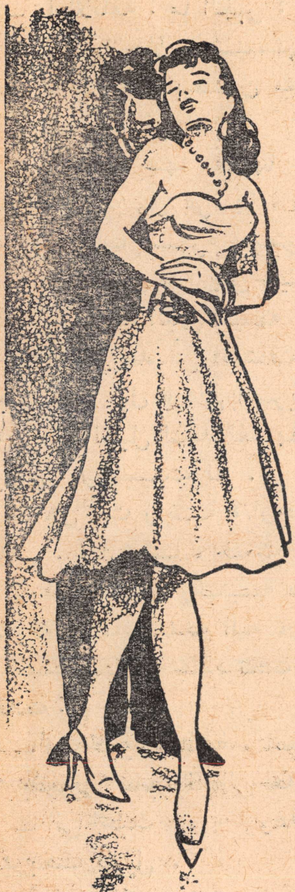
ـ هل أنت راضية ؟ أرجو ألا تكونى متعبة ، على أقل تقدير . اذا شئت ، خلعت هذه الحلة فورا وبقينا ها هنا .

ووضع احدى ركبتيه على السرير فى حركة من يخلع سترته . فاستندت اليه ، ودست يدها تحت قميصه ، وأحست بحرارة جلده تحت كفها . لقد كان ينبض بالحياة . وقالت :

ـ انها فكرة ممتازة . أتحرص على أن ألبس هذا الثوب ؟ انه يظهرنى كالمجنونة الى حد ما .

ـ انى أحبك عارية ، وهذا أكثر ثيابك عريا . لقد تخيرته بعد بحث طويل .

وتناولت كأسها فشربته . لقد كان من الممكن لها أن تعود



بمفردها الى مسكنها ، وأن تنام بصحبة كتاب ، يخيم عليها شيء من الحزن ، كما كان حالها قبله ، **ولكنه كان هناك ، كان يضحك ، ويفيض بشرا ، وهى تضحك معه ، وهو يصر على أن تعلمه رقصة « الشارلستون » ، مضيفا فى مرح الى عمرها عشرين سنة غابرة ،** فتنخرط فى الرقص وتتعثر على السجادة وتقع بين ذراعيه لاهثة ، فيضمها اليه ، وتسترسل فى الضحك ، ناسية كل النسيان «روجيه» والجليد والحسرات . لقد كانت صبية ، لقد كانت حسناء ، لقد كانت تدفعه الى خارج الغرفة ، لتتزين وتتبرج ، وتلبس هذا الثوب الخليع ، وهو يطبل على الباب نافد الصبر . وعندما طلعت عليه ، نظر اليها مبهورا ، وكسا بالقبلات كتفيها . وسقاها « كوكتيلا » ثانيا ، وهى التى

لم تكن تعرف الشرب . لقد كانت سعيدة .. سعيدة على نحو عجيب !

وفى الملهى ، الى مائدة مجاورة لمائدتهما ، تعرفت على امرأتين تكبرانها قليلا ، كانتا تعملان معها أحيانا ، فوجهتا اليها ابتسامة ملؤها الدهشة . وحينما قام « سيمون » ليراقصها ، سمعت هذه العبارة الصغيرة : **« كم يبلغ عمرها الآن ؟ »**

فاعتمدت على « سيمون » . لقد فسد كل شيء . بدا لها ثوبها مثارا للسخرية بالنسبة لسنها ، وبدا لها « سيمون » ملفتا للانظار بأكثر مما يجوز ، وبدت لها حياتها غير ذات معنى . وسألت « سيمون » أن يعود بها . فلم يحتج ، وأدركت أنه ، هو أيضا ، قد سمع .

وبادرت الى خلع ثوبها . وأنشأ « سيمون » يتحدث عن الفرقة الموسيقية . لقد كانت تود لو أنها صرفته . وتمددت فى الظلام بينما مضى يخلع حلته . ما كان لها أن تشرب هاتين الكأسين من « الكوكتيل » وتلك الكأس من « الشمبانيا » ، فسوف تصبح مشدودة القسمات . وهمدت كأن الاسى قد أصماها . وعاد « سيمون » الى غرفة النوم ، فجلس على حافة السرير ، ووضع يده على جبينها . فقالت :

ـ ليس هذا المساء يا « سيمون » ، اننى كليلة .

ولم يجب ، وظل جامدا . وكانت ترى صورته وقد ارتسمت خطوطها الخارجية ازاء الضوء المنبعث من الحمام . كان حانى الرأس كمن يفكر . وأخيرا قال :

ـ « بول » ، لابد ان أكلمك .

ــ الوقت متأخر . اننى ناعسة . غدا .

ــ كلا . انى أريد ان أكلمك فى الحال . وستنصتين لى :

ففتحت عينيها ، مشدوهة . لقد كانت تلك اول مرة يستخدم فيها السيطرة معها !

ــ لقد سمعت ، مثلك ، ما قالته هاتان العجوزان الشمطاوان من ورائك . ولست أطيق أن يؤثر ذلك فيك . هذا غير جدير بك ، هذا من الجبن ، ومما يجرح شعورى .

ــ انما انت يا « سيمون » تخلق مأساة من لا شىء .

ــ اننى لا أخلق مأساة ، بل أريد على العكس أن اجنبك خلق المآسى . انك طبعا ستخفينها عنى . ولكن ليس لك أن تخفيها عنى ، فلست صبيا صغيرا يا «بول» . ان فى مقدورى تماما أن أفهمك ، وربما أن أساعدك . اننى سعيد جدا معك ، كما تعلمين ، غير أن طمعى لا يقف عند هذا الحد ، فانى أريد أن تكونى أنت سعيدة معى . انك فى الوقت الحاضر تتعلقين بـ « روجيه » تعلقا يحول دون ذلك . فينبغى أن تقبلى اعتبار قصتنا شيئا ايجابيا ، تساعديننى فى بنائه ، لا مجرد مصادفة سعيدة . هذا ما أردت أن أقوله .

وكان يتكلم فى رزانة ، ولكنه كان يبذل جهدا . وكانت « بول » تصغى اليه فى دهشة ، وفى نوع من الامل . **لقد كانت** تعتقد أنه سادر ذاهل ، بيد أنه لم يكن غائب الوعى ، بل كان يعتقد انها تستطيع أن تبدأ كل شىء من جديد . **لعلها ، رغم كل ما بلته ، مستطيعة .. ؟**

ــ تعلمين اننى لست بمستهتر . **اننى فى الخامسة والعشرين من عمرى ، الا انى لم أعش قط قبلك ، ويقينا لن أعيش**

بعدك . فانك انت المرأة التى احتاج اليها ، وانت فوق كل شىء الكائن الانسانى الذى لا بد لى منه . انى لاعرف ذلك . فاذا كنت تشائين ، تزوجتك غدا .

ـ اننى بلغت التاسعة والثلاثين .

ـ ليست الحياة مذكرات نسائية ، ولا مجموعة من التجارب القديمة . انك تكبرينني أربعة عشر عاما ، وانى لاحبك ، ولسوف أحبك زمانا طويلا . هذا كل ما فى الامر . ولذلك ، لا أطيق أن تنزلى الى مستوى هاتيك العجائز مثلا ، ولا الى مستوى رأى الناس . انما المشكلة ، بالنسبة لك ، بالنسبة لنا ، هى «روجيه» . وليست هناك مشكلة سواها .

ـ « سيمون » أسألك المغفرة اذ اننى .. اذ فكرت فى ..

ـ أنت لم تفكرى فى اننى كنت أفكر .. هذا كل ما فى الامر . الآن أفسحى قليلا .

ودلف الى جوارها ، فقبلها ونالها . ولم تحتج بأنها متعبة . ولقد انتزع منها لذة عاتية لم يشعرها بمثلها حتى ذلك الحين . ثم ربت على جبينها الذى بلله العرق ، ووسدها تجويف كتفه ، على غير عادته ، وجذب الاغطية فوقها ، بعناية . وقال :

ـ نامى . انى أتكفل بكل شىء .

وفى الظلام ابتسمت شفتاها ابتسامة صغيرة رقيقة ، ووضعت فمها على كتفه ، وأما هو فتلقى هذه النفحة فى سكون السيد القدير . وظل هزيعا طويلا من الليل ساهرا ، يروعه جده ، ويتيه اعتزازا بحزمه .

الفصل السادس عشر

• **دنت** عطلة عيد الفصح ، فراح « سيمون » ينفق النهار تلو النهار منكبا على خرائط ، تستخفى تارة بين ملفات أستاذه وتنبسط تارة أخرى على سجادة « بول » . وهكذا فرغ من تخطيط رحلتين فى ربوع ايطاليا ، وثلاث رحلات فى ربوع اسبانيا ، وهو الآن يتجه الى بلاد اليونان . وكانت « بول » تصغى اليه دون أن تقول شيئا ، فهى لن تملك - على أحسن تقدير - الا عشرة أيام ، وكانت تشعر بأنها من شدة التعب بحيث يصعب عليها مجرد ركوب قطار . لقد كانت تتمنى بيتا فى الريف ، وأياما تتشابه ، ومقاما - بالايجاز - كعهد الطفولة ! ولكنها لم تكن تجد فى قلبها الشجاعة لتثبيط همة « سيمون » . لقد كان بين أوراقه يتمثل نفسه رحالة ممتازا ، يثب من المركبة ليعينها على النزول ، ويقودها نحو عربة قد حجزها من قبل عشرة أيام ، كى توصلهما الى أفضل فندق فى المدينة ، فيدخلان غرفة تحليها الزهور طبقا لبرقية سبق له أن أرسلها .. ناسيا أنه لم يكن يعرف ابدا كيف ينتقل من قطار الى قطار فى أثناء رحلاته ، ولا كيف يحتفظ بتذكرة ! .. **كان يحلم ، ويسترسل فى أحلامه ، ولكن جميع أحلامه كانت تنطلق نحو « بول » ، وتتدفق صوبها تدفق الانهار المائجة على بحر هادىء** . انه لم يشعر قط فى حياته بمثل هذه الحرية التى مضى يستروحها طوال هذه الاشهر القليلة التي شهدته كل يوم فى نفس المكتب ،

وكل مساء لدى نفس الانسان ، فى نفس المسكن ، متعلقا بنفس الرغبة ، ونفس الهم ، ونفس العذاب . ذلك أن «بول» لم تزل تروغ أحيانا ، لم تزل تحول عينيها ، وتبتسم فى رقة أمام عباراته الملتهبة .. « بول » لا تزال تلتزم الصمت كلما دار الحديث حول « روجيه » . وكثيرا ما كان يجد أنه يخوض صراعا لا معنى له ، صراعا مرهقا ، صراعا لا مخرج منه ، لان مرور الزمن — وكان على يقين من ذلك — لم يكن يتيح له أن يكسب شيئا . فلم يكن عليه أن يمحو ذكرى « روجيه » ، بل كان عليه أن يقتل فى « بول » شيئا ما ، هو « روجيه » ! .. أن يقتلع نوعا من الجذور ، مستأصلا ، عصيا ، موجعا ، كانت هى تنطوى عليه فى ثبات . ولقد بلغ به الامر أحيانا أن يتساءل هل هذا الثبات ، وهذا الرضا بالعذاب ، هما اللذان حبباها اليه ؟.. وهل هما اللذان أفلحا فى الابقاء على حبه ؟ .. غير أنه كان فى أغلب الاحيان يقول لنفسه : « ان بول تنتظرنى ، وبعد ساعة سوف آخذها بين ذراعى » ، **فيبدو له اذ ذاك أن « روجيه » لم يوجد قط ، وان « بول » تحبه هو ، « سيمون » ، وأن الامر بسيط ، ناصع السعادة** . ولقد كانت « بول » تفضله فى تلك الآناء بعينها ، اذ كان هو يفرض عليها تجاوبهما وكأنه حقيقة بديهية ، وواقع لا يسعها الا أن تقره . لقد كانت تضيق بما تتكلف من ألوان التحفظ . بيد انها ، اذا انفردت بنفسها ، كانت ترى أن حياة « روجيه » بدونها خطأ جسيم ، وكانت تتساءل فى رعب كيف قد بلغا هذا الحد . وكان ضمير المثنى — « هما » أو « نحن » — يعنى دائما « روجيه » واياها ،

أما « سيمون » ، فقد كان « هو » . ولكن «روجيه» لم يكن يعلم من ذلك شيئا . انه اذا أعيته حياته سوف يقبل كى يبثها شكواه ، وسوف يحاول بلا شك أن يستردها . ولعله يصل الى ما يريد ، فينجرح « سيمون » جرحا حاسما ، وتصبح هى وحيدة من جديد ، تنتظر مكالمات تليفونية غير مضمونة ، وجراحا صغيرة مضمونة . ثم كانت تثور على ايمانها بالقدر ، على ما يساورها من أن هذا كله قضاء محتوم . لقد كان فى حياتها شخص محتوم ، الا وهو « روجيه » !

على أن ذلك لم يكن يحول بينها وبين أن تعيش مع « سيمون » ، وأن تتأوه فى أحضانه ، ليلا ، وان تضمه اليها أحيانا ضمة طويلة لا يستطيع أن يأتى مثلها الا الاطفال أو العشاق المبدعون .. ضمة تستأثر وتستولى ، ضمة متلهفة لهفة الانسان حين يلوح له خطر زوال كل ما يملكه ! .. ضمة من الشدة بحيث لم يكن هو نفسه يدرى مداها . فى تلك اللحظات كانت « بول » تمس الشيخوخة ، كانت تبلغ ذلك الهيام العجيب ، الفريد ، الذى يختص به الشيوخ ، ثم كانت تضمر اللوم لـ « روجيه » ، هذا الذى لم يكن يفرض عليها الافتراق فرضا ، « روجيه » الذى لم يكن هناك .. انها عندما كان ينالها « روجيه » ، كانت تحس بأنه سيدها ، وبأنها ملك له ، فلقد كان لا يكاد يكبرها سنا ، وكان كل شىء مطابقا لقواعد معلومة من قواعد الاخلاق والجمال ما كانت لتظن حتى ذلك العهد أنها كانت تحرص على مراعاتها .



ولكن « سيمون » لم يكن يحس بأنه سيدها .. لقد راح يمثل على غير وعى منه مهزلة لم يكن يخطر له انها قد تفضى به الى الضياع ، فوقف منها موقف التابع فى كل شىء ، موقفا كان يدفعه الى أن ينام على كتف صاحبته كما لو كان يلتمس أن تحميه ، ويحمله على أن ينهض فى الفجر ليعد طعام الافطار ، ويدعوه فى آخر الامر لطلب النصيحة بصدد كل ما يعرض له ، **وهو موقف كانت ترق له «بول» الا انه كان يضايقها دون أن تدرى لماذا ، ويحرجها احراج وضع شاذ .** انها كانت تضمر له التقدير، فقد دأب الآن على العمل ، وقد اصطحبها مرة الى قضية فى (فرساى) حيث أدى أمامها تأدية رائعة دور المحامى الشاب الذى يصافح الايدى ، ويتفضل بالابتسام

لمراسلى الصحف ، ويعود اليها دائما وكأنها محور اضطرابه ، قاطعا أحيانا ما يسترسل فيه من عبارات تثبت لبعض المجهولين بلاغته ريثما يلتفت اليها ، خفية ، ليتحقق هل هى تنظر اليه . كلا ، انه لم يكن يمثل حيالها مسرحية الزاهد الخلى . ولذا كانت ترنو اليه وقد أودعت فى نظرتها أقصى ما يمكن من الاعجاب والاهتمام ، وهى نظرة كانت تتبدل — منذ يوليها ظهره — فتصير حنانا يخالطه شىء من الزهو . فلقد كان النساء يكثرن من النظر اليه . وكانت هى هائمة ، تشعر أن انسانا يعيش من أجلها . لقد أصبحت لا ترى فى تفاوت السن بينهما اشكالا ، ولم تكن تسائل نفسها : « وبعد انقضاء عشر سنين ، أتراه يظل يحبنى ؟ » فبعد انقضاء عشر سنين سوف تكون وحيدة ، أو سوف تكون مع « روجيه » . كان شىء ما فى داخلها يردد لها ذلك باصرار . وكلما هتفت بها فكرة هذا الازدواج الذى لا حول لها دونه ولا قوة ، كان حبها لسيمون يتضاعف : « ضحيتى ، يا ضحيتى العزيزة ، يا صغيرى سيمون ! » . **وللمـرة الاولى تذوقت تلك اللذة الهائلة ، لذة أن تحب من سوف تسومه العذاب ، حتما !**

« حتما » هذه وعواقبها — أى الاسئلة التى كان « سيمون » مزمعا أن يلقيها عليها ذات يوم ، والتى سوف يصبح من حقه أن يوجهها اليها بوصفه انسانا يتعذب — كانت تروعها . « لماذا تفضلين على روجيه ؟ وبأى شىء يمتاز هذا الصفيق الشارد على أنا ، وعلى الحب العنيف الذى أهديه اليك كل يوم ؟ » وهناك كان يجن جنونها ، لمجرد التفكير فى أنه سوف يتعين عليها أن تشرح مكان « روجيه » منها . انها لن تقول

« هو » ، بل ستقول « نحن » ، لانها لم تفلح فى أن تفرق بين حياتيهما . وكانت تجهل لماذا . فلعل تلك الجهود التى بذلتها من أجل حبها منذ ست سنين ، تلك الجهود المتواصلة ، الموجعة ، قد غدت لديها فى آخر الامر أثمن من السعادة . ولعلها ، بدافع من كبرياء ، لا تطيق التسليم بأن تلك الجهود كانت بلا جدوى ، ولعل هذا التكبر فيها ، من فرط ما أصابته النكبات ، راح يتغذى بجهودها شيئا فشيئا ، حتى انتهى الى انتخاب « روجيه » وتوليته عليها سيدا موكلا بتعذيبها . ولكنه كان يروغ منها دائما . وأصبح هذا الصراع المريب علة وجودها .

ومع ذلك ، فلم يكن الصراع شيمتها . وكانت تقول هذا لنفسها أحيانا ، وهى تداعب شعر « سيمون » الناعم الحريرى المنساب ، وتدلكه فى عكس اتجاه نموه . لقد كان فى مقدورها أن تجوس خلال حياة مذللة لها ، كما تجوس يدها خلال هذا الشعر ، وكانت بذلك تتمتم له . وكانا يلبثان على هذا النحو ساعات طويلة فى ظلام الليل ، قبل أن يدركهما النوم . كان كلاهما يمسك بيد الآخر ، ويبيتان يتهامسان ، فيلم بها أحيانا ذلك الاحساس المضحك بأنها مع تلميذة من زميلات الدراسة ، فى سن الرابعة عشرة ، وقد أوتا الى أحد تلك المخادع الكبيرة العامرة بالاشباح ، حيث تتكلم الصبيات ، بصوت خافت ، عن الله وعن الرجال . كانت تهمس ، وكان « سيمون » — طروبا بهذا التسار — يناجيها بدوره همسا .

— وكيف كانت تصبح اذ ذاك حياتك ؟

— كنت خليقة بأن أبقى فى كنف « مارك » ، زوجى . لقد

كان لطيفا ، فى الواقع ، ومن أرقى أهل المجتمع . ومال طائل أيضا .. اننى أردت ان اجرب ..

وكانت تحاول أن تشرح له ، وتصف كيف اتخذت حياتها فجأة شكل حياة ، بمجرد أن قررت قرارها ، فى تلك الفترة التى انغمرت ابانها فى عالم المهن النسائية المعقد ، وياله من عالم وعر مهين ! انه ألوان من السعى ، ومن المنغصات المادية ، والابتسامات ، والصمت . وكان « سيمون » يصغى اليها ، وهو يريد أن يستبين ضمن تلك الذكريات شيئا ما قد يمت بصلة الى حبه .

ـ وبعد ؟

ـ وبعد ، فاننى أظن أنه كان بامكانى أن أعيش على ذلك النحو . ومثل هذا العيش كان سيؤدى بى الى أن أخون « مارك » دون أن أقصد ، لست أدرى .. كل ما فى الامر اننى كنت سأتعرض لانجاب طفل . ولو لم يكن سوى هذا فقط ..

وصمتت . وضمها « سيمون » ، فقد كان يريد منها طفلا ، كان يريد كل شىء . وضحكت ، ولامست بشفتيها عينيه ، واستأنفت تقول :

ـ فى سن العشرين ، لم يكن الامر كذلك . انى لاتذكر فى جلاء أننى قررت اذ ذاك أن أكون سعيدة .

أجل ، انها كانت تتذكر فى جلاء . لقد كانت تذرع الشوارع فى المدينة ، والشواطىء فى المصايف ، تستخفها رغبتها . لم تكن تنى عن المشى ، تنشد وجها .. وفكرة .. ألم يكن يعييها البحث عن فريسة . كانت ارادة السعادة تحلق فوق رأسها ، بعد أن حلقت فوق رؤوس ثلاثة أجيال ، ولم تكن

هناك عقبات ، فكانت تستهين بكل ماقد يعترض سبيلها .. وأما الآن ، فهى لم تعد تسعى الى أن تنال ، وانما كانت تسعى الى أن تستبقى .. كانت تسعى الى أن تحتفظ بمهنة وأن تحتفظ برجل ، وهى تتمسك بتلك المهنة وبهذا الرجل منذ أمد طويل ، ولا تزال — وهى فى التاسعة والثلاثين من العمر — غير واثقة من دوامهما لها . وكان « سيمون » يغفى وهو فى حضنها ، فتهمس : « حبيبى ، هل أنت نائم ؟.. » ، وتوقظه هذه الكلمات نصف يقظة ، فينكر أنه قد هجع ، ويشد نفسه اليها فى ظلام الليل ، فى عطرها ، فى دفئيهما المختلطين ، ويشعر بنعيم عجيب .

الفصل السابع عشر

• **تلك** كانت سيجارته الثلاثين ، أحس « روجيه » بذلك وهو يسحق عقبها فى المنفضة الغاصة . واختلج بالنفور ، وأضاء مصباح السرير مرة أخرى . كانت الساعة الثالثة صباحا ، ولما يتسن له أن يهجع . وفتح النافذة بغتة ، فنفح الهواء المثلوج وجهه وعنقه ، بشدة دفعته الى أن يغلق الزجاج ، ثم اتكأ على النافذة وكأنه يريد أن « يرى » البرد . وانصرف أخيرا عن تأمل الشارع المقفر ، وألقى نظرة على مرآته ، وأشاح عنها فى الحال . لم تكن صورته تعجبه . وتناول علبة سجاير « الجولواز » من فوق المنضدة ، ووضع احداها بحركة آلية فى فمه ، ولم يلبث حتى أعادها . انه الآن لا يحب تلك الحركات الآلية التى كانت تتضمن بالنسبة

اليه قسطا كبيرا من لذة الحيـاة ، انه الآن لا يحب تلك الحركات التى يأتيها رجل وحيد ، ولا يحب طعم التبغ . كان عليه أن يلتمس علاجا ، فلا ريب فى أنه مريض . أجل ، لقد كان يأسف على « بول » ، ولكن حسرته تلك لم تكن العلة الكافية لفساد أمره . لا بد أنها راقدة فى هذه اللحظة بين ذراعى ذاك الفتى المدلل ، وقد نسيت كل شىء . وأما هو ، « روجيه » ، فما كان له الا ان يخرج ، وأن يجد بغيا، وان يشرب . هكذا كانت تتمثله « بول » على كل حال . كان يشعر بذلك ، كان يشعر بأنها لم تضمر له قط التقدير والاحترام حقا . لقد كانت دائما تراه غليظا ، فظا ، بالرغم من أنه كان يقدم لها أفضل ما فى نفسه ، أمتن ما لديه .
وتلك خصال النساء : يظهرن أنهن يطالبنك بكل شىء ، وانهن يمنحنك كل شىء ، حتى اذا استدرجنك الى أقصى غاية الثقة ، احتجبن ذات يوم ، لاتفه الاسباب ! فلم يكن شىء أتفه فى نظر « بول » من علاقة لها بـ « سيمون » ولكن ذلك الولد ، كان فى هذه اللحظة يحتضنها ، ويميل على وجهها المستلقى ، وعلى هذا الجسم البض ، المستسلم للنشوة ، الـ ... واستدار فى الغرفة فجأة ، وأشعل أخيرا سيجارته، ومضى يستنشق الدخان فى شره محتدم ، ثم أفرغ المنفضة فى المدفأة . وكان عليه أن يوقد فى المدفأة نارا .. لقد كانت « بول » توقدها كلما جاءت ، فكانت تمكث على ركبتيها أمام المدفأة ، ترقب مولد الجذوات ، وتذكيها بحركة من حركاتها الصائبة ، المتئدة جدا ، ثم تنهض ، وتتراجع قليلا ، واذا بالغرفة وردية ، تضطرب فيها الظلال ، فتثور به الرغبة فى



أن يضاجعها ، ويقول لها ذلك . لقد انقضت تلك الامسيات منذ زمن طويل . من أى عهد كفت « بول » عن المجىء ؟ منذ سنتين ، ربما منذ ثلاث سنين . فقد اعتاد أن يلقاها فى مسكنها ، وكان هذا أسهل ، لانها كانت تنتظره .

وكان لايزال ممسكا بالمنفضة فى يده ، فتركها : وتدحرجت المنفضة على الارض ، سليمة . **لقد كان يود لو تحطم هذا الشىء ، وخرج من جموده ، وتناثرت الشظايا والبقايا . ولكن المنفضة لم تتحطم ، فالمنافض لا تتهشم الا فى القصص وفى روايات السينما ،** وكان يحتاج دون ذلك لاحدى تلك المنافض الزجاجية الرشيقة التى يزدحم بها مسكن « بول » ، لا لهذا الصنف الجيد من سلع المحلات التجارية الشعبية . ولعله قد كسر مائة على الاقل من شتى

هذه الاشياء لدى «بول» ، فكانت هى تضحك ، والمرة الاخيرة كانت كأسا فاتنة من البلور يتشعشع فيها « الويسكى » بلون أصهب غير عادى . والحق ان كل شىء كان يمتاز بمثل هذا الرونق ، داخل تلك الدار التى كان هو السيد فيها والمولى . كان كل شىء متسقا ، عذبا هادئا . ومع ذلك ، فقد كان يظن أنه يفلت منها وينعم بالفرار ، كلما انصرف فى الليل . والآن، هاهوذا وحيد فى بيته ، يستبد به غضب لا جدوى منه ضد منفضة لا تنكسر . وعاد الى الفراش ، وأطفأ المصباح ، واعترف برهة لنفسه بأنه كان شقيا ، قبل أن ينام ، ويده على قلبه .

الفصل الثامن عشر

• **والتقوا** عند باب مطعم ، ذات مساء ، فأدوا ثلاثتهم ذلك « الباليه » الصغير ، وما أكثر ما تجرى فى باريس حركاته التقليدية العجيبة ! .. أومأت هى برأسها ايماءة نائية للرجل الذى على كتفه قد تأوهت ، وتنهدت ، ورقدت، وبادلها الايماءة بلا رشاقة ، ورمقه « سيمون » لحظة دون أن يضربه كما كان يبتغى . وجلسوا الى مائدتين ، متباعدتين بعدا كافيا ، وأمرت بأصناف طعامها دون أن ترفع عينيها . وفى نظر صاحب المطعم ، وفى نظر بضعة العملاء الذين كانوا يعرفون « بول » ، كان هذا مشهدا عاديا تماما . وطلب « سيمون » شرابه بصوت وطيد ، وسأل « روجيه » رفيقته ــ حول المائدة الاخرى ــ أى « كوكتيل » تفضل . واخيرا

رفعت « بول » عينيها ، فابتسمت لـ « سيمون » ، ومدت بصرها فى اتجاه « روجيه » . لقد كانت تحبه ، وقد طرقتها هذه البداهة منذ رأته لدى الباب بمحياه العنيد : **انها مازالت تحبه ، وهاهى‌ذى تخرج من سبات طويل عديم الجدوى . ونظر اليها بدوره ، ثم حاول ان يأتى بابتسامة ، لكنها غاضت فى الحال .**

وقال « سيمون » :

ـ ماذا تتناولين ؟ هل لك فى نبيذ أبيض ؟

ـ ولم لا ؟

وراحت تنظر الى يديه على المائدة ، والى الاطباق المنضودة فى وضع حسن ، والى ردن « سيمون » ازاء ذراعها العارية . وشربت بسرعة شديدة . وكان « سيمون » يتحدث فى غير تدفقه المعهود . كان يلوح عليه انه ينتظر شيئا ما منها ـ أو من « روجيه » . ولكن ماذا ؟ أكانت تستطيع أن تنهض وتقول له : « معذرة » ؟ . أكانت تستطيع أن تخترق القاعة وتقول لروجيه : « حسبنا هذا ، ولنرجع » ؟ . . ما كان هذا بالذى يجوز فعله . والحق انه لم يعد يجوز فعل أى شىء ذكى أو رقيق فى هذا العصر .

وبعد العشاء ، رقص القوم . ورأت « روجيه » يخاصر امرأة سمراء ، ليست مسرفة فى القبح هذه المرة ، رأت « روجيه » وقد مضى يترنح أمامها فى رعونته المألوفة . ونهض « سيمون » ، وكان يحسن الرقص وهو يرخى جفنيه قليلا ، وكان لين العود أهيف القد ، وكان يدندن ، فتركت نفسها تنساق . وذات لحظة ، مست ذراعها العارية يد

« روجيه » ، المطبقة على ظهر السمراء ، ففتحت عينيها . وتبادلا النظر ، هذا « روجيه » ، وهذه « بول » ، وكلاهما وراء كتف شخص « آخر » . وكانت تلك رقصة بطيئة ، بلا ايقاع ، ساكنة . فجعل كل منهما يتأمل الآخر على قيد عشرة سنتيمترات ، دون أدنى تعبير ، دون ابتسام ، ودون تعارف – فى ظاهر الامر – ثم تخلت بغتة يد « روجيه » عن ظهر المرأة ، وامتدت نحو ذراع « بول » ، فلامستها بأطراف الانامل ، وكان على وجهه من بليغ التوسل ماتجنبته باغماض عينيها . ودار « سيمون » ، فغاب كل منهما عن بصر صاحبه .

فى تلك الليلة ، رفضت أن تنام مع « سيمون » ، متذرعة بتعب لم تكن تحس به . وظلت فى سريرها مدة طويلة ، مفتوحة العينين . لقد كانت تعرف ما سوف يحدث ، كانت تعرف أنه لا يوجد ، ولم يوجد يوما على الاطلاق حل آخر ممكن ، وباتت فى الظلام تذعن لهذا الحل ، والشجى يقبض صدرها . وفى وسط الليل ، قامت ، وذهبت الى غرفة الاستقبال ، حيث كان « سيمون » راقدا ، بعرض الاريكة . وكانت ترى فى مجرى النور المائل المنبعث من غرفتها ، جسم الفتى المديد ، وخفق أنفاسه . **وقفت تنظر الى رأسه الغائر فى الوسادة ، والى الاخدود الصغير بين فقرتين من فقرات رقبته ، فكانت تنظر الى شبابها هى نائما** . ولكنه لم يكد يستدير وهو يجأر نحو النور ، حتى ولت هاربة . ما كانت منذ ذاك الحين تجرؤ على أن تكلمه .

وفى صباح اليوم التالى ، كان خطاب « روجيه » المستعجل

ينتظرها فى المكتب . « لابد أن أراك ، فان هذا الحال لا يمكن أن يستمر . اتصلى بى تليفونيا . » فاتصلت . واتفقا على أن يلتقيا فى الساعة السادسة مساء . ولكنه ، بعد انقضاء عشر دقائق ، كان هناك . لاح جسيما فى متجر السيدات ذاك ، تائها . وأقبلت عليه ، فأدخلته الى حجرة استقبال غاصة بالكراسى الخيزرانية المذهبة ، ياله من أطار كابوس ! واذ ذاك فقط ، رأته . لقد كان هو بنفسه . وخطا خطوة نحوها ، ووضع يديه على كتفيها . وكان يتلعثم فى الكلام ، مما يدل لديه على أقصى الانفعال .

قال : « كم كنت شقيا ! »

فسمعت نفسها تجيب ، وقد اعتمدت قليلا عليه :

ــ وأنا أيضا .

ثم طفقت تبكى ، متوسلة فى داخل نفسها لـ « سيمون » كى يغفر لها هاتين الكلمتين الاخيرتين .

وكان قد حط رأسه على شعرها ، وهو يقول : « كفاك بكاء » ، بصوت أبله .

وأخيرا قالت فى لهجة الاعتذار :

ــ لقد حاولت ... لقد حاولت ... حقا ..

ثم أدركت انه ما كان ينبغى أن توجه اليه هو هذا القول، بل الى « سيمون » . واختلط عليها الامر . انما يجب الانتباه دائما ، ولا يصح لامرىء أبدا أن يقول كل شىء لنفس الشخص . واستمر دمعها يهطل ، وهى جامدة الوجه . وظل هو صامتا . فتمتمت :

ــ قل شيئا ما .



ـ كنت وحيدا مستوحشا ، ولقد فكرت . اجلسى هنا ، وخذى منديلى . سأشرح لك .

وشرح لها . شرح لها انه لا بد من مراقبة النساء ، وانه كان مهملا فلم يحترس ، وانه قد تبين أن هذا كله كان نتيجة خطأه . انه ماكان يحس موجدة عليها لتقلبها . ولن يذكرا ذلك فيما بعد . فكانت تقول : « نعم ، نعم ، نعم يا روجيه » وكانت نفسها تنازعها الى أن تنغمر فى البكاء وأن تضج بالضحك ! .. وفى الوقت ذاته ، كانت تستنشق رائحة جسمه الاليفة ، ورائحة تبغه ، فتشعر بالنجاة .. وبالهلاك .

* * *

وبعد عشرة أيام ، كانت فى بيتها ، تنفرد بـ « سيمون » للمرة الاخيرة . قالت : « انك تنسى هذا . »

ومدت يدها برباطى عنقه ، وهى لا تنظر اليه ، فقد كانت

تحس بأن قواها قد نفدت . كادت تنقضي الآن عليها ساعتان وهى تعينه فى حزم أمتعته . وما أخف ما يحمله فتى عاشق ، بيد أنه عديم النظام ! ففى كل مكان كانا يجدان قداحة « سيمون » ، وكتب « سيمون » ، وأحذية « سيمون » . ولم يكن قد تفوه بكلمة ، وانما استمسك بالجد والرزانة ، وكان يعى ما يفعل ، وكان هذا يخنقه .

قال : « كفاية . ما عليك الا أن تودعى الباقى لدى البواب . »

ولم تجب . وألقى نظرة حوله ، وهو يريد أن يتمثل فكرة « المرة الاخيرة ، المرة الاخيرة » ، ولكنه لم يفلح فى ذلك . لقد كان يرتجف ارتجافا عصبيا .

قالت « بول » : « لن أنسى . »

ورفعت عينيها نحوه .

فقال : « وأنا أيضا . انما أعنى شيئا آخر ، شيئا آخر . . »

وترنح فى منتصف الطريق قبل أن يلقى اليها وجهه الحائل . فأسندته بين ذراعيها ، مرة أخرى أيضا ، أسندت اساه كما سبق لها ان اسندت هناءه . ولم تكن تستطيع أن تمنع نفسها من أن تحسده لهذا الاسى العاتى ، فهو أسى جميل ، ألم رائع لن يتاح لها مثله بعد ذلك أبدا . وانفلت فجأة وخرج ، تاركا متاعه . وتبعته ، وانحنت على سياج السلم تصيح باسمه :

ـ سيمون ، سيمون . .

وأضافت دون أن تدرى لماذا :

ـ سيمون ، اننى الآن عجوز ، عجوز . . .

ولكنه ما كان يسمعها . كان يهرول على السلم ، وملء عينيه الدموع .. كان يهرول وكأنه يطفر طفرات انســان سعيد .. كان فى الخامسة والعشرين من العمر . وأعادت اغلاق الباب ، فى أناة ، واعتمدت بظهرها عليه .

وفى الساعة الثامنة ، دق جرس « التليفون » . ومن قبل أن ترفع الســماعة ، كانت تعلم ما الذى ستسمعه . انه « روجيه » يقول :

ـ أننى أعتذر ، سأتناول العشاء مع بعض رجال الاعمال ، وسوف آتى فيما بعد ، فهل ..

تمت



كتابى
الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية
الجحيم هو الناس!
جان بول سارتر
نساء الهوى
برنارد شو
الطاعون
البير كامى
ليالى البلقان
حياة توماس مان
معبودى الخائن!
أصرح اعتراف كتبتها امرأة!
حياة البرت شفايتزر
أقوى من المال!
جان أنوى
ابراهام لنكولن فى حياته الخاصة
نماذج من النساء
ارسكين كالدويل
قصة حياة فندرلون
(برليس)
يحشد لك فى أعداده القادمة
مجموعة ضخمة من أروع الكتب الحديثة
التى جلبها لك من عواصم أوربا وآسيا
.. فيفتح أمام ذهنك آفاق الثقافة
العالمية على مصراعيها .. ويكفل لك
ولأولادك زادا عقليا وغذاء وجدانيا
لم يسبق لهما مثيل باللغة العربية.
ومع كل عدد
المجلة الجديدة المنفصلة: (اقرأ معى)
نساء ومآسى فى ساحة العدالة
الغريب
البير كامى
حياة "فلمنج"
مكتشف البنسلين
يصدره حلمى مراد
فى كل عدد من كتابى: سيرة حياة شخصية عالمية + قصة طويلة + كتاب فى علم النفس
+ مسرحية ملخصة + محاكمة جنائية أو قصة تاريخية + كتاب عزلى ملخص.. الخ..
علاوة على باب المحرر: "رأيت وسمعت لك فى ..."